



الياقوتة الحمراء



استقل المخبر "هيركيول بوارو" القطار الأزرق قاصداً "الريفييرا". وهذا القطار معروف برقيه، وهدوئه وخلوه من الأفاقين. وقد التقى فيه بـ"روث كيترينج"، وهي سيدة أمريكية ثرية، وكانت في طريقها لاستعادة حبها القديم بعد خلاصها من زيجة فاشلة. وقد افتضحت علاقتها الغرامية السرية في الصباح التالي، وذلك عندما وجدت مقتولة في مقصورتها الفاخرة. ولم يكن من خيط أمام "بوارو" سوى تلك الشائعة عن ذلك الغريب الذي كان يلازم القتيلة كظلها، ولكن رويداً رويداً بدأت تتكشف الحياة السرية للسيدة "كيترينج".

أجاثا كريستي

- ☐ الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.
- ☐ بيع من كتبها أكثر من 650 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.
- ☐ كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنها تقول "إني إنجليزية". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيّة في الرواية، كما تميزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمّنت أيضاً أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	3000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1,5 ريال
الأردن	1,5 دينار	مصر	20 جنيها
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	3 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1,5 دينار	اليمن	400 ريال


ISBN 9953-38-123-2
9789953381237

قام بعون الله الأستاذان / هشام عبد الرازق - محمد عبد الحميد

مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الاسم الأصلي للرواية

The Mystery of the Blue Train

(1928)

الغلاف بريشة الفنان

غنطوس

- 1 -

كان الليل قد كاد ينتصف حين كان الرجل يعبر ميدان الـ "**كونكورد**" في "**باريس**".

كان رجلا ضئيل الجسم. أما وجهه فكان شبيها بالفار ينم عن الخبث والدهاء. وانتهت به المسيرة إلى نهر "**السين**"، فعبره في خطوات متمهلة، وتوقف برهة أمام بيت قديم خرب، ثم ما لبث أن ارتقى الدرج صاعدا إلى الطابق الرابع. وحتى قبل أن يطرق الباب إذا به يفتح، فقد كانت المرأة التي فتحته ترقب قدومه.

وابتدرها:

- أكل شيء على ما يرام يا "**أولجا ديميروف**"؟

وأجابته:

- على ما يرام يا "**بوريس إيفانوفتش**".

ومشى إلى النافذة فتطلع منها، ثم ارتد عنها مجفلا

- ثمة رجلان على الرصيف المقابل فهل يتبعاني ...؟

- لا يزعجك أمرهما فقد كانا هنا قبل قدومك.

وتريث برهة مفكرا ثم قال:

- هل يمكن أن يتغلب الرجلان على الأمريكي؟

فقالت:

- إذا كان الأمريكي من الطراز الذي وصف لي، فاغلب الظن أنهما سيعجزان عن التغلب عليه.

ثم أردفت:

- وبهذه المناسبة.. لقد لمحت الليلة - مرتين - رجلا أشيب الشعر يجتاز هذا الإفريز، وعندما مر بالرجلين أسقط قفازه، فسارع أحدهما بإعادته إليه.. وتلك

خدعة معروفة تبيح لهما أن يتبادلا بعض الكلمات .

– أتريدين أن تقولي إن هذين الرجلين يعملان في خدمة الكهل أشيب الشعر..؟

فقالت :

– شيء من هذا القبيل .

وظهرت سمات القلق في وجه الروسي وقال :

– أموقنة أنت من أن اللفافة في أمان .. ؟

فلم تجب المرأة على ملاحظته ، وإنما اتجهت إلى المدفأة مطفأة النيران ، وأزاحت كوما من الفحم ، ومن تحته أخرجت لفافة مطوية في أوراق صحيفة قديمة حال لونها فقال الرجل في ارتياح :

– فكرة رائعة .. مخبأ أمين لا يخطر بالبال .

وقالت :

– لقد فتش مسكني مرتين .

– ألم أقل لك إن الأمر ذاع وشاع .. ؟

وفض الروسي " وجه الفأر " اللفافة ، فانكشفت عن ورقة رمادية فحص محتوياتها ، ثم لفها مرة أخرى .

وفي هذه اللحظة رن جرس الباب رنينا حادا متلاحقا فقامت " أولجا " وهي تتطلع إلى ساعتها .

ومضت إلى الباب مسرعة وعادت وفي صحبتها أمريكي ضخم الجسم عريض المنكبين حاد النظرات .

وقال القادم الجديد يخاطب الروسي :

– السيد " كراسنين . " ؟

فانحنى الروسي أمام الزائر في احترام وقال :

– يجب أن أعتذر عن اختياري هذا الحي موبوء السمعة، فإنني حريص على ألا يعرف أحد أن لي صلة بهذا الموضوع .

فقال الأمريكي :

– هذا أمر مفهوم .

– إنك وعدتني بألا تكشف سر هذه الصفقة .

فأومأ الأمريكي إيجابا وقال :

– هذا ما اتفقنا عليه .

ودفع " كراسنين " باللفافة إلى الأمريكي ، ففضها وتمهل ، وأخذ يفحص "البضاعة" في إمعان ، ووجهه ناطق بأمارات الارتياح ، ثم تناول حافظته وناول الروسي رزمة من أوراق البنكنوت ، ثم قال :

– شكرا لك .

ودس الأمريكي اللفافة في جيبه ، وحيّا أصحاب الدار ، ثم استدار منصرفا .

وقال الروسي :

ترى هل يصل إلى فندقه سالما .. ؟

وأسرعت المرأة إلى النافذة والرجل في أعقابها ، ورأيا الأمريكي يستدير إلى شارع جانبي، وفي نفس اللحظة رأيا الرجلين اللذين كانا يتسكعان على الإفريز يبرزان من الظلام ، وينطلقان في أثر الأمريكي .

وقالت " أولجا " :

– أتراه سينجو منهما .. ؟

ولم يرد عليها الروسي، وإنما ناولها بضع أوراق من البنكنوت وهو يقول:

– إليك أجرك .

ودست المرأة الأوراق في جيبها ، ثم هتفت :

– آه .. ها هو ذا الرجل الكهل الأشيب مرة أخرى .

واقترب " كراسنين " من النافذة ، ورأى الرجل .

كان أنيق الثياب ، رشيق الجسم ، فوق رأسه قبعة عالية وعليه معطف أسود اللون .

كان يسير على مهل ، سالكا نفس الطريق الذي اتخذه من قبل الأمريكي والرجلان اللذان كانا يتعقبانه .

- 2 -

تابع ذو الشعر الأشيب طريقه بنفس الخطو المتمهل الرشيق ، وهو يترنم بلحن خفيف الإيقاع .

وعلى حين بغتة تسمر في مكانه .. لقد تناهى إلى أذنيه صوت شيء ، قد يكون دوي انفجار عجلة إحدى السيارات ، أو دوي طلق ناري .

وتلاعبت على شفتيه ابتسامة خفيفة ، ثم ما لبث أن تابع سيره .

وعند ناصية الطريق واجهه مشهد كان يترقبه جمع من الناس ، يتوسطهم شرطي يدون شيئا في مذكرته ، واقترب الكهل الأشيب من أحدهم ، واستفسر عما يجري .

وأجابه الرجل :

– اثنان من المتشردين هاجما أمريكيا .

فسأل الكهل :

– وهل أصيب الأمريكي ؟

ضحك الرجل وأجاب :

– كلا . لقد أطلق الأمريكي مسدسه قبل أن ينقضا عليه ففر المتشردان هاربين .

وتابع ذو الشعر الأشيب طريقه ، وعبر نهر " السين " .

وتوقف أمام بيت في حي الأثرياء – إلا أنه كان في حقيقة أمره متجرا للتحف

والعاديات .

وضغط الجرس ، وابتدر الخادم متسائلا :

– هل السيد " بابولوس " موجود .. ؟

وأجاب الخادم :

– إنه موجود يا سيدي ، ولكنه لا يستقبل أحدا في مثل هذه الساعة .

– ولكنني أعتقد أنه سيستقبلني ... أبلغه أن صديقه " المركيز " بالباب .

وصدق الرجل في حدسه ، فقد أقبل السيد " بابولوس " بنفسه مرحبا بصديقه " المركيز " يدعوه إلى الدخول .

وقال الزائر :

– يجب أن أعتذر عن حضوري في مثل هذه الساعة المتأخرة غير الملائمة .

– إنك تعرف يا سيدي " المركيز " انني أرحب بك في اي وقت ... لا شك في ان لديك بعض الأنباء لي .. ؟

– إنها أخبار سيئة ... لقد فشلت المحاولة . إن الخطة لم تكن ناضجة محكمة

ولوّح " بابولوس " بيده امتعاضا ، فقد كانت كل خططه محكمة محبوكة .

وكانت هذه الخطط السديدة هي التي فتحت أمامه أبواب الملوك والأمراء والنبلاء ، يزودهم بأندر الماسات وأشهر التحف ، وإن لم تكن مصادر بضاعته فوق الريب والشكوك .

واستطرد اليوناني :

– إن العنف لا يجدي .

وهز " المركيز " كتفيه في غير اكتراث وقال :

– ولكنه يوفر الوقت على أية حال .

ثم أردف في لهجة حاسمة تشف عن اليقين .

– ولكن الخطة التالية لن تفشل .

فقال تاجر التحف :

– إنني مطمئن إلى سمعتك .

فلاحت ابتسامة عابرة على شفتي "**المركيز**" وقال :

– أستطيع أن أؤكد لك أن ثقتك بي في موضعها .

ثم نهض بزمع الانصراف وهو يقول :

– سوف أتصل بك بالطريقة المعهودة .

ولبث اليوناني برهة بعد انصراف زائره يتخلل لحيته بأصابعه – غارقا في التفكير – ثم اتجه إلى باب في صدر الغرفة ، وحين فتحه كاد أن يصطدم بفتاة تسترق السمع، ومع ذلك لم يبد عليه أن فعلتها أدهشته .

وقال لها في بساطة :

– آه .. ! أهذه أنت يا "**زيلا**" .. ؟

فاجابت معللة موقفها :

– لم أسمعه ينصرف يا أبي .. كنت ملصقة أذني بخصاصة الباب أستمع إلى ما يقوله فلم أفطن إلى انصرافه .

ثم أردفت :

– حين تطلعت من الثقب عند دخوله رأيته يضع قناعا على وجهه ، فهل من عادته أن يفعل ذلك ؟

– هذا دأبه دائما .. مجرد نوع من الحيطة .

– أكان حديثه يا ترى عن الياقوت .. ؟

وأوما اليوناني برأسه مؤمنا ، ثم قال :

– ولكن ما رأيك فيه ؟

فقالت :

– من الغريب أن يتكلم إنجليزيٌّ الفرنسية بمثل هذه الطلاقة واللكنة الأصيلة .

فقال السيد "**بابولوس**" :

–أهذا كل ماخطر لك .. ؟

ولكنه لم يعقب بتفسير ما قال .

واستطردت الفتاة :

– وقد لاحظت شيئا آخر ... إن شكل رأسه عجيب غير مألوف .

– أتعنين أنه ضخم أكثر من المعتاد .. ؟ إن باروكة الشعر تضفي على الرأس شكلا شاذا .

وتبادل الأب وابنته ابتسامة ذات مغزى .

- 3 -

رحب كاتب الاستعلامات في فندق "**سافوي**" في "**لندن**" بالمليونير الأمريكي "**رافيوس فان ألدن**" وقال له :

– سكرتيرك الميجور "**كايتون**" في جناحك منهمك في العمل .

– أما من رسائل لي .. ؟

ثمة رسالة وردت منذ قليل .

وجاءه بها على الفور ، وأشرق وجه المليونير ، إذ تبين في الغلاف خط ابنته الحبيبة .

وصعد المليونير إلى جناحه فاستقبله سكرتيره "**كايتون**" مرحبا في رقة ومودة وساله :

– أرجو أن تكون قد قضيت في "**باريس**" وقتا ممتعا .

– إن "باريس" كئيبة مقبضة هذه الأيام ، ولكني حصلت على أية حال على ما كنت أسعى إليه .

– هذا ما أعهده فيك دائما يا سيدي .

والقى المليونير بمعطفه على المقعد ، وقال :

– أثمة شيء عاجل .. ؟

– لا اظن يا سيدي .

كان سكرتيرا حاذقا يجيد عمله ويتقنه .

لقد التقى به المليونير الأمريكي صدفة منذ شهرين في أحد مصايف "سويسرا" ، وكان في حاجة إلى سكرتير مؤقت يرافقه خلال الفترة التي ينوي أن يقضيها في أوربا . لم يخف " كايتون " عن المليونير انه يبحث عن عمل ، وقدم إليه سجله عن فترة تجنيده في الجيش ، وكان سجلا رائعا ، حافلا بتزكيات طيبة ، كان فيه تفسير للعرج الخفيف الذي يبدو في مشيته . وارتاح "فان ألدن" إلى الرجل فلم يتردد في إلحاقه بخدمته .

وقال الفتى وقد استبدت به الدهشة :

– ولكنني لا اجيد فن السكرتارية .

– إن لدي من يتولون هذه الأعمال ، ولكنني في حاجة إلى رجل إنجليزي يشرف على الناحية الاجتماعية في أثناء إقامتي في هذه البلاد .

وقال السكرتير وهو يتناول خطابا من بين رزمة الرسائل المكدسة أمامه :

– اتريد أن تطلع على خطاب خاص بصفقة " كولتون " .. ؟

وأجابه المليونير :

– فلنرجئه حتى الغد ، اما الآن فسوف أقرأ هذه الرسالة التي جاءتني من ابنتي .

– السيدة " كيترنغ " .. ؟ لقد اتصلت بك يا سيدي أمس واليوم أكثر من مرة .

وفض " رافيوس فان ألدن " الرسالة ، فإذا بابتسامته تتلاشى ووجهه يكفهر وسحنته تنقلب . وفجأة أفلتت من بين شفتي المليونير زمجرة غاضبة .

وغمغم يقول :

– هذا شيء لا يحتمل ... من حسن حظ ابنتي المسكينة أن لها أبا يحميها ويذود عنها .

وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، ثم اختطف معطفه وارتداه وهو يقول :

– إن جاء أحد لمقابلتي فليذهب إلى الشيطان .

وعند الباب استدار نحو سكرتيره قائلا :

– الحق يا " كايتون " إنك تروقني ، فعندما أكون غاضبا فإنك لا تحاول أن تقحم نفسك عليّ بالأسئلة .

واسترسل المليونير :

– إن " روث " هي ابنتي الوحيدة ، وهي أعز مخلوق عليّ في هذه الدنيا .

ثم ارتد عن الباب ، وأخرج من جيبه لفافة فضها فانكشفت عن علبة صغيرة من القطيفة الحمراء .

فتح " فان ألدن " العلبة ، وبسطها امام عيني سكرتيره ، فشهق الرجل ، ولهثت انفاسه ، فقد رأت عيناه مجموعة من الياقوت الأحمر ، تتالق فوق وسادة من المخمل الأسود ، حتى تكاد تبهر البصر .

وهتف :

– هل هي .. هل هي حقيقية .. ؟

وضحك " فان ألدن " في ابتهاج ورضاء وأجاب :

– تساؤلك لا يدهشني ، فبين هذه اليواقيت ثلاث من أكبر الفصوص في العالم... لقد كانت " كاترين " امبراطورة "روسيا" تتحلى بها . وهذه الياقوتة الوسطى معروفة باسم " جذوة النار " .

– إنها تساوي ثروة دون شك .. ؟

– مليون دولار يا صديقي .. !

– ومع ذلك تحملها في جيبك دون خوف . ؟

وضحك " **فان ألدن** " وأجاب :

– إنني ذاهب بها إلى ابنتي ... إنها هديتي إليها .

فابتسم الميجور " **كايتون** " وقال :

– الآن عرفت لم كانت متلهفة إلى مقابلتك.

واستعاد وجه " **فان ألدن** " صرامته واكفهراره وقال :

– إنها لا تعرف عن هذه الهدية شيئا .

وأغلق العلبة ، دسها في جيبه ، ثم قال :

– " **روث** " أعز إنسان عندي ، ولكم يسعدني أن أقدم إليها شيئا يسعدها ولو لحظة واحدة .

ثم أردف في نبرة بها لمسة من المرارة :

– ولكن كيف تسعد وهي في بيتها شقية منكودة ثم استدار وغادر الغرفة صامتا .

- 4 -

لم تفطن السيدة " **روث ديريك كيترنغ** " إلى جرس الباب وهو يصلصل ولا إلى وقع خطوات أبيها وهو يجتاز الغرفة .

وحين لمحته منتصبا أمامها هبت مجفلة وهي تهتف :

– بابا .. ! لقد طلبتك أكثر من مرة .

وقال أبوها :

– لقد وصلت لتوي من "**باريس**". ما هي حكاية " **ديريك** " .. ؟

وتضرج وجه " **روث** " احمرارا لفرط غضبها وقالت :

– الحياة معه أصبحت لا تطاق .. إنه يأبى أن ينصاع إلى أية كلمة أقولها.

– حدثيني بما جرى .

– تصور أنني لم أر وجهه منذ شهر .. ! إنه دائما في أحضان تلك المرأة .. " **ميريل** " راقصة كازينو " **بارثينيون** " .

فقال أبوها :

– لقد تحدثت في هذا الشأن إلى أبيه اللورد " **ليكنبوري** " ، وهو متعاطف معي بالتأكيد ، ولكني أعرف أنه لا حيلة له في الأمر أمام هذا الابن الأحمق .

وسألته ابنته :

– ولكن الا تستطيع أنت يا أبي أن تفعل شيئا .. ؟

وأجاب وهو ساهم غارق في التفكير :

– ربما .

ثم رفع رأسه إليها وحدجها بنظرة ثابتة وقال :

– " **روث** " .. هل لديك من الشجاعة ما يجعلك تعترفين أمام العالم بأنك كنت مخطئة .. ؟

فتطلعت إليه مستفسرة في شيء من الدهشة . وتساءلت :

– ماذا تعني يا أبي .. ؟

– الطلاق .. ! إنه السبيل الوحيد .

واستطرد :

– كل من يشقى في حياته الزوجية لا يتردد في الطلاق .

لبثت الفتاة صامتة فاسترسل " **فان ألدن** " قائلا :

– الطلاق هو الحل الذي لا حل سواه .. لقد حاولت أكثر من مرة أن أعيد إليك " **ديريك** " ولكنه كان لا يلبث أن يرتد راجعا إلى راقصته " **ميريل** " ... إنه فاسد متعفن لا يصلح لك .

وربت الأب ذراع ابنته في حنان وقال :

- إنك لم تكوني أبدا سعيدة في حياتك ، يجب أن تبدئي حياتك من جديد . . . إن " **ديريك كيترغ** " لم يتزوجك إلا من أجل مالك . . . استمعي إلى نصحي وتخلصي منه في الحال .

وأرخت " **روث** " بصرها ، إلى الأرض برهة ثم قالت :

- هب أنه لم يوافق على الطلاق .

وتطلع إليها أبوها في دهشة وقال :

- وهل يمكن أن يكون له رأي في الموضوع .. ؟ إنني أستطيع أن أسحقه بمجرد إيماءة من إصبعي .

- أعرف هذا ، ولكن هب أنه ناضل أمام القضاء .

- وهل لديه شيء يمكن أن يتشبث به .. ؟

وتضرج وجه الفتاة احمرارا وأشاحت بعينيها .

وسألها أبوها في نبرة تنبض بالحنان وبالتوجس :

- " **روث** " ... أراك تكتمين دوني شيئا .. ؟

فأجابت في ارتباك :

- كلا .. لا شيء على الإطلاق .

بيد أن صوتها كان خاليا من نبرة الإقناع .

وأردفت :

- إذا كان هذا هو رأيك يا أبي فإني أقرك عليه .

- إذن دعي الأمر لي ولا تشغلي بالك .

ثم استطرد وهو يدس يده في جيبه :

- لقد جئتك بهدية من "**باريس**" .

- حقا .. ؟ شكرا لك يا أبتاه .

وبسط إليها العلبة المخملية فانكشفت عن قلادة الياقوت المتوهج احمرارا.

وهتفت الفتاة في نشوة طاغية :

- يا إلهي .. ! إنها تحفة نادرة .

وطوقته بذراعيها وانهالت عليه تقبيلا .

وقال أبوها :

- هذه الياقوتة الوسطى ذات قيمة تاريخية ... إنها معروفة باسم " جذوة النار " .

وتناولت القلادة ، وطوقت بها عنقها ، ووقفت أمام المرآة تتأمل هيئتها وعيناها تشعان بريقا متأججا ثم استدارت إلى أبيها تغمره من جديد بقبلاتها .

وقال لها :

- غدا قد نلتقي عند " **جالبريث** " .

و "**جالبريث** " هو محامي المليونير الأمريكي في "**لندن**" .

وسألته :

- أرجو ألا يحول موضوع القضية دون سفري إلى "**الريفييرا**" يوم 14 .

- إن إعداد عريضة الدعوى لا يستغرق وقتا طويلا .

ثم استطرد :

- لا يجمل يا ابنتي أن تأخذي معك هذا العقد ، بل أودعيه خزانتك في البنك، كثيرون قتلوا في سبيل " جذوة النار " .

- ومع ذلك كنت تحملها في جيبك بكل بساطة .

- ولهذا تعرضت لمغامرة قاتلة ... هاجمني اثنان من الصعاليك وفرا هاربين عندما أطلقت النار .

فضحكت " **روث** " قائلة :

- عهدي بك دائما صلب المراس .

حين رجع " **رافيوس فان ألدن** " إلى فندقه أمر سكرتيره الميجور " **كايتون** " أن

يبحث عن زوج ابنته (السيد " كيترغ ") ، وان يدعوه إلى مقابلته ظهر اليوم التالي . كما أمره أن يستدعي أيضا رجلا يدعى " جوبي " لمقابلته في التاسعة والنصف صباحا .

- 5 -

جاء السيد " جوبي " إلى الفندق طبقا للموعد المضروب وابتدره المليونير :

– إن لدي مهمة لك يا " جوبي " .

واستطرد :

– إنك تعرف أن ابنتي متزوجة بالسيد "ديريك كيترغ" ، واستجابة لمشورتي قررت " روث " أن تطلب الطلاق ، ولهذا أريد تقريرا وافيا عن السيد "كيترغ" وخصوصاً عن علاقاته النسائية .. فمتى توافيني به؟

– هل انت في عجلة من أمرك يا سيدي ..؟

– ذاك دأبي دائما .

– حسنا .. سيكون التقرير أمامك في الساعة الثانية بعد ظهر اليوم .

– شكرا لك ... ساكون في انتظارك إذن .

ودعا " فان ألدن " سكرتيره بعد انصراف زائره وقال له :

– سأتفرغ لك ساعتين أو ثلاثا ، فهات ما لديك .

وفيما كان " كايتون " يعد الأوراق قال له هذا :

– إن " جوبي " رجل نافع ، وقد أسداني بعض الخدمات .

– وما مهنته يا سيدي .. ؟

– التحريات ... إنه جعبة حافلة بالمعلومات . ولو أنني سألته أن يوافيني بالتاريخ السري الخفي للملك "إنجلترا" لما أعياه ذلك الأمر .

وأمن " كايتون" بقوله :

– هذا رائع .

ثم انهمك الرجلان في العمل إلى أن حان الموعد الذي ضربه لزوج ابنته .

حيا " كيترغ " حماه في صوت متراخ ناعم النبرات ، صوت طالما فتن النساء ثم أردف متسائلا :

– إنها فترة طويلة لم أرك خلالها يا سيدي ... سنتان تقريبا .. ترى هل قابلت " روث " أخيرا .. ؟

– كنت عندها الليلة الماضية .

وتصلب وجه " فان ألدن " وقال في اقتضاب :

– لا داعي لان الف وأدور ... ساواجهك بالحقيقة ... لقد أشرت على " روث " بان تطلب الطلاق .

ونفث " كيترغ " من سيجارته حلقة من الدخان وقال :

– وما رأي " روث " .. ؟

– إنها تعتقد أن الطلاق هو الحل الصائب .

فقال " كيترغ " في صوت هادئ :

– إنني إنما كنت أفكر في " روث " نفسها ... إنك تعلم أن صحة أبي سيئة ، ولن تمضي سنوات حتى ينتقل إليّ لقب اللوردية ، فلو أن " روث " تريثت قليلا لفازت باللقب و هو ما كانت تهدف إليه بزواجها مني .

فقال " فان ألدن " مزمجرا :

إن وقاحتك لا تحتمل .

واستطرد " كيترغ " دون أن يبالي بمقاطعة حميه .

– الا تموت " روث " حسرة حين ترى امراة أخرى تحمل لقب اللوردية إذا طلقتني فتزوجت غيرها .. ؟

فقال " فان ألدن " :

إنني اتكلم كلاما جادا أيها الفتى ولا أمزح .

– وأنا أيضا جاد في كلامي ... إنني ماليا في مأزق دقيق ، وإذا طلقتني " روث " هبطت إلى الحضيض . وإذا كانت قد احتملتني عشر سنوات ، فلم لا تحتملني سنوات أخرى قليلة .؟ إن أبي لن يعيش أكثر من عام ، وإنه لمن المؤسف ألا تنال " روث " ما تزوجتني من أجله .

– أتعني أن ابنتي تزوجتك سعيا وراء لقب " اللوردية " ؟

وأطلق " كيترغ " ضحكة تفيض سخرية وقال :

– إنك بالتأكيد لا تعتقد أنها تزوجتني عن حب .

فقال " فان ألدن " :

– لم تكن تلك هي كلماتك وأنت تتحدث إليّ في " باريس " منذ عشر سنوات .

– ربما كنت على حق .. إن " روث " جميلة ، وكنت عندئذ أطمع في أن أطوي الماضي وأبدأ صفحة جديدة تستقر فيها حياتي مع زوجة تحبني وتخلص لي .

فقال " فان ألدن " في صوت صارم النبرات :

– لقد دعوتك لمقابلتي لأبلغك بما استقر عليه رأينا بشأن الطلاق . إن من حق ابنتي أن تبدأ حياة جديدة، ولا تنس أنني بجانبها أساندها وأؤازرها .

ونهض " كيترغ " واقفا ، ومشى إلى المدفأة فالقى فيها بعقب سيجارته ، وحين استدار تكلم في هدوء .و قال :

– ترى ما الذي تعنيه بهذه العبارة .. ؟

– أعني أن من مصلحتك ألا تعارض دعوى الطلاق .

– وهبني عارضت .. ؟

– وعلى أي شيء سوف تستند في معارضتك ..؟ إن فضائحك وعلاقاتك النسائية حديث " لندن " .

– لعلك تقصد علاقتي بالراقصة " ميريل " .. ؟ إن " روث " تقيم الدنيا

وتقعدها بسبب هذه الراقصة ، ولكنها مخطئة في هذا ، فانا لا اتدخل في علاقتها باصدقائها .

فقال " فان ألدن " في صوت حاد النبرات :

– ما الذي تعنيه بهذا .. ؟

فضحك " كيترغ " قائلا :

– يبدو لي يا سيدي أنك تجهل الكثير من الحقائق .. إنني لا ألومك ، فمن الطبيعي أن تكون متحيزا .

وتناول " كيترغ " قبعته وعصاه واتجه إلى الباب وهو يقول :

– ليس من عادتي أن أسدي النصح إلى الناس ولكنني أشير عليك يا سيدي بأن تطلب من ابنتك أن تكون صريحة معك . وأن تدلي إليك بكل الحقائق .

وخرج من الباب مسرعا وأوصده وراءه تاركا " فان ألدن " وراءه يسائل نفسه :

– بحق الشيطان ما الذي يعنيه بهذه الكلمات .. ؟

جاء السيد " جوبي " يزور الأمريكي طبقا للموعد . وشرع " جوبي " يتكلم في هدوء ، و " فان ألدن " يرهف السمع دون أن يقاطعه بكلمة أو استفسار .

وحين فرغ من حديثه عقب المليونير بقوله :

– إذن فدعوى الطلاق ناجحة دون شك ... هل دليل الفندق مؤكد يا " جوبي " ..؟

– دون شك يا سيدي ... إنه قاطع في إثبات الخيانة الزوجية .

– قلت إنه مفلس تماما ، وإنه يحاول عقد قرض فإذا ما ذاع أمر الطلاق فلن يجرؤ أحد على أن يقرضه بنسا واحدا ... هذا رائع يا " جوبي " ... إنه في قبضة يدنا، ونستطيع أن نضغط عليه .

وانطلق المليونير إلى شارع " كيرزون " لمقابلة ابنته .

وفيما كان مقبلا على البيت لمح رجلا يغادره ، فتطلع إليه بنظرة سريعة عابرة،

وخيّل إليه انه يعرف الرجل .

وخفت " **روث** " إليه تسأله عما لديه من أنباء . واجاب :

– لديّ كلمة أحب أن أصارحك بها . لقد قابلت زوجك ظهر اليوم وتحدثت إليه في موضوع الطلاق .

– وكيف كان جوابه .. ؟

– كان وقحا سليط اللسان ، ولكنه أشار إلى شيء لم أتبين مرماه .. لقد نصحني بأن أسألك أن تكوني صريحة معي . ترى ما الذي يعنيه بهذا يا " **روث** " .. ؟

وتململت السيدة " **كيترغ** " في مقعدها مرتبكة وقالت :

– وأنى لي أن أعرف يا أبتاه .. ؟

– بل تعرفين دون شك ... لقد قال أيضا إنه لا يتدخل في علاقاتك بأصدقائك ، فما الذي يعنيه .. ؟

فعادت تقول في إصرار :

– لا أعلم ..

وران عليها الصمت برهة ، ثم قال " **فان ألدن** " :

– اسمعي يا " **روث** " .. يجب أن أعرف جميع الحقائق حتى لا أفاجأ بشيء لا أتوقعه .. يجب أن أعرف ما عناه بقوله إنه لا يتدخل في علاقاتك بأصدقائك .

وهزت " **روث** " كتفيها في غير مبالاة وقالت :

– إن لي بالتأكيد كثيرا من الأصدقاء .

وصمت " **فان ألدن** " برهة ، ثم قال في صوت خافت :

– " **روث** " ... من هو " الرجل " .. ؟ " الرجل " الذي عناه " **ديريك** " بعبارته ... إنه يعني رجلا معينا من بين أصدقائك .. ! إنك تعرفين انهم في المحاكم يفسرون أتفه العلاقات على هواهم ... أرجو أن تصارحيني بكل شيء .

ولم تجب " **روث** " ، ولكن يديها أخذتا ترتجفان .

– هيا يا حبيبتي ... صارحيني بكل شيء .. إنني صديق متفهم متسامح .. أرجو أن تتكلمي .

وإذ لبثت صامتة استطرد يقول :

– لقد قابلت الرجل في الشارع منذ لحظات ... ألا تزالين على علاقة به .. ؟

– من تعني يا أبتاه .. ؟

– أعني ذلك الأفاق الذي كنت على علاقة به قبل زواجك .. الكونت " **دي لاروش** " .

واستطرد :

– لقد قلت لك إنه مغامر أفاق محتال ونصحتك بالابتعاد عنه ..

وأجابت :

– لقد أخذت بنصيحتك و تزوجت " **ديريك** " .

– ولكني لمحته اليوم يغادر بيتك .. !

ولم تجب " **روث** " وإنما انخرطت في البكاء .

وضرب " **فان ألدن** " كفا بكف ، وغمغم يقول :

– ألا ما أشد حماقة النساء .. !

- 6 -

كان " **ديريك كيترغ** " في طريقه إلى بيت صاحبته " **ميريل** " وهو شارد الذهن بسبب دعوى الطلاق ، إذ لم يغب عنه أن انفصاله عن زوجته الثرية سيكون ضربة قاصمة له وهو المفلس الذي يعيش على أموالها .

وبلغ من ارتباكه أن اصطدم وهو يغادر فندق " **سافوي** " بفتاة كانت تهم بالدخول، فتحول إليها معتذرا، ثم تابع طريقه يلوح أمامه وجهها الجميل... وجه ذو عينين رماديتين صافيتين لم ير لهما مثيلا . تلقته " **ميريل** " بذراعين

مفتوحتين، وطبعت على شفتيه قبلة أودعتها حرارة متأججة .

وتمددت على الأريكة في وضع يفيض إغراء وقالت :

– ليتك بكرت قليلا ... " **أمبروز** " كان هنا ... وعرض عليّ دورا في أوبراه الجديدة " **بيرجنت** " ، وهو دور سأرقص فيه وأنا شبه عارية ، ولا تسترني إلا أكداس من الجواهر .. وبهذه المناسبة لقد رأيت بالأمس يا حبيبي لؤلؤة سوداء نادرة في شارع " **بوند** " .

فقال " **كيترنج** " :

– لا فائدة يا عزيزتي في أن تتحدثي إليّ عن اللآلئ السوداء أو حتى البيضاء... إنني الآن في ورطة لا أجد لي منها مخرجا .

– ما هذا الذي تقول ... ؟ ما الذي جرى ..؟

– لقد قرر حماي العزيز أن يطلقني من ابنته .

– ولكن ماذا نويت أن تفعل .. ؟

– وما عساي أستطيع .. ؟ إنه بملايينه يستطيع أن يسحقني وأنا المسكين المفلس.

– ولكن زوجتك تحبك فيما أعرف .

ولم يحر " **كيترنج** " جوابا . وبعد سكتة قصيرة قال :

– " **ميريل** " ... ما رأيك .. ؟ هل ستتخلين عني .. ؟ بعد الطلاق .. حين ينقض عليّ الدائنون وينشبون فيّ مخالبهم كالذئاب الجائعة .

اعتدلت " **ميريل** " في جلستها ، وقالت :

– إنك تعرف أنني أعبدك يا " **ديريك** " .

وفطن إلى مراوغتها وعزوفها عن الرد فقال :

– إذن فالأمر كذلك .. الجرذان تغادر السفينة الغارقة !

وهزت " **ميريل** " كتفيها في غير اكتراث وقالت :

– إنك تعرف يا صديقي أنني مغرمة بك ... إنك شاب لطيف جذاب ، ولكنني امرأة عملية .

– أي أنك تديرين ظهرك للفقراء .

وتمددت على الأريكة ، واحتضنت الوسائد وقالت :

– لك أن تقول هذا إن شئت !

مشى إلى النافذة ومضى يطل على الطريق بنظرة ساهمة شاردة غارقا في خواطره.

وتحاملت الراقصة على نفسها ، ومضت إليه :

– ماذا بك يا صديقي .. ؟ فيم تفكر .. ؟

ورماها من فوق كتفه بنظرة لاهية وأجاب :

– الواقع أنني كنت أفكر في امرأة .

فتساءلت " **ميريل** " :

– امرأة .. ؟ أية امرأة .. ؟ أتراك تفكر في امرأة سواي .. ؟

فأجاب :

– انفضي عنك القلق فما هي إلا مجرد صورة خيالية .. السيدة ذات العينين الرماديتين .

وضحك " **كيترنج** " وقال في سخرية لاذعة :

– أتراك تغارين .. ؟ لقد اصطدمت بها في مدخل فندق " **سافوي** " .

والتفت " **ميريل** " بذراعيها حول عنقه، وكان الذراعين ثعبان يطوقه ويدور بجسده .

وقالت :

– إنك تعلم يا " **ديريك** " أنني أحبك ، ولكنني لم أخلق للفقر .. نعم ... إنني أكره أن أعيش فقيرة ، ومع ذلك فالعلاج سهل وهين .. تصالح مع زوجتك.

– مستحيل .. " **فان ألدن** " إذا اتخذ قرارا فلن ينكص عنه .

– لقد سمعت عنه .. منذ أيام اشترى أروع ياقوتة في العالم ... " جذوة النار " الشهيرة .

ولم يجب "**كيترغ**" ، فاسترسلت " **ميريل** " :

– إنها ياقوتة رائعة لا تليق إلا بامرأة مثلي .. لكم أتمنى أن أتحلى بـ "جذوة النار" ... لا شك في أنه ابتاعها ليهديها لابنته ... زوجتك .

– لا شك في هذا .. إنه يعبدها ، فهو لم ينجب سواها . وهي على غاية من الثراء منذ الآن ، فعندما تم زواجها بي أهداها " **فان ألدن** " مليونين من الجنيهات .

وهتفت " **ميريل** " :

– مليونان .. ! يا إلهي .. ! وهب أن زوجتك ماتت فجأة ، فأنت الذي سترثها بالتأكيد .

فعقب "**كيترغ**" في بطء :

– أعتقد ذلك ، فإنها لم تحرر وصية فيما أعلم .

وهتفت الراقصة :

– آه .. ! لو أنها ماتت لكان هذا هو الحل الأمثل لمشكلتك .

وران عليهما السكوت برهة ، ثم قال " **كيترغ** " ضاحكا :

– ولكن أمنيتك بعيدة التحقيق ... إن " **روث** " في صحة جيدة ممتازة .

– وهل لا يموت المرء إلا مرضا ..؟ أنسيت الحوادث المفاجئة .. ؟

وتطلع " **كيترغ** " إليها في حدة ، فاستطردت تقول:

– أصبت .. يجب الا نتعلق بالأماني والاحتمالات .. اسمع يا عزيزي "**ديريك**" هذا الطلاق يجب الا يقع .

– وكيف السبيل إلى هذا .. ؟

– إن زوجتك من الطراز الذي يرعبه التشهير ... إنها تكره أن تجد اسمها على

صفحات الصحف .

– ماذا تعنين بحق الشيطان ..

– أنسيت يا صاح علاقتها بـ الكونت "**دي لاروش**" .. ؟ ألم يكن عشيقها قبل أن تتزوجك ..؟

وأمسك " **كيترغ** " بكتفيها يهزها في عنف :

– هذه فرية كاذبة ... ! اذكري من فضلك أنك إنما تتحدثين عن زوجي .

وتطلعت إليه " **ميريل** " في دهشة ، ثم قالت :

– ألا ما أغربكم أيها الإنجليز .. ! ولكن اسمح لي أيها العزيز أن أؤكد لك أنها كانت مدلهة في غرامه قبل أن تتزوجك ، وأن أباها تدخل في الأمر وأرغم "**الكونت** " على الابتعاد عن ابنته .

وسكتت " **ميريل** " هنيهة ، ثم استطردت :

– وثمة شيء لعلك لا تعرفه .. لقد تغير الوضع الآن ، فهي تلتقي بـ" **الكونت**" كل يوم تقريبا ، وفي الرابع عشر من هذا الشهر سوف تسافر زوجتك إلى "**باريس**" لتلتقي بـ " **الكونت**" .

وسألها " **كيترغ** " :

– وأنى لك أن تعرفي هذا .. ؟

– إن لي في "**باريس**" عديدا من الأصدقاء على صلة وثيقة بـ " **الكونت** " .. وهو يتباهى بعلاقته بابنة المليونير

واستطردت :

– زوجتك تزعم أنها ذاهبة إلى " **الريفييرا** " . ولكن الحقيقة أنها ستقابل "**الكونت** " في "**باريس**" ... لو أنك على شيء من المكروالدهاءلاستطعت أن تدبر لها مكيدة وتهددها بالفضيحة .

وصرخ فيها " **كيترغ** " مهتاجا :

– بحق الشيطان أمسكي لسانك السليط .

وهب " **كيترنج** " واقفا ، وانطلق خارجا يدق الأرض بقدميه غضبا واهتياجا .

- 7 -

ما كادت الآنسة " **كاترين جراي** " تفرغ من فطورها حتى حمل إليها البريد رسالتين كان هذا نص الأولى :

" عزيزتي الآنسة " **جراي** " . إنني وزوجي نقدم إليك خالص الشكر على خدمتك لابنة عمي " **إيما** " المسكينة التي كانت وفاتها صدمة أليمة لنا جميعا ، وإن كنا نعلم أن عقلها في سنيها الأخيرة كان مختلا . وهذا ما يجعلك تدركين أن وصيتها لك بأموالها لا ترتكز على سند قانوني سليم ، أعتقد أنك بما جبلت عليه من حكمة تؤثرين أن تسوي هذه المسألة بيننا بطريقة ودية دون حاجة إلى القضاء . وفي هذه الحالة يسعدنا أن نهديك مبلغا من المال تستعينين به على مطالب الحياة . وختاما أرجو أن .. إلخ – " **ماري آن هاتفيلد** " .

كانت " **كاترين جراي** " في الثالثة والثلاثين من عمرها تنحدر من أسرة ، كريمة، وحين خسر أبوها ثروته اضطرت إلى أن تعمل في سبيل لقمة العيش، وفي الثالثة والعشرين عملت رفيقة للسيدة " **إيما هاتفيلد** " .

كانت السيدة " **هاتفيلد** " صعبة المراس، تقلبت عليها المرافقات دون أن يطقن البقاء معها . فأثار عجب الناس أن تبقى " **كاترين جراي** " في خدمتها عشر سنوات متصلة ، وحين ماتت العجوز أوصت بثروتها للمرافقة المخلصة .

كانت " **كاترين** " غارقة في خواطرها تستعيد إلى ذهنها ذكريات حياتها ، والرسالتان على المائدة أمامها .

ورن جرس الباب ، وكان القادم هو الدكتور " **هاريسون** " طبيب القرية ، قرية " **سان ميد** " قال :

– لقد بكرت في الحضور إذ أخبرتني هذه المرأة الحسود السيدة " **صامويل هاتفيلد** " أنها تنوي أن تكتب إليك خطابا وقحا بشأن تركة ابنة عمها .

ودفعت إليه " **كاترين** " بالرسالة فقال وقد فرغ من تلاوتها:

– وقاحة ما بعدها وقاحة .. لا تبالي يا ابنتي العزيزة بما يقولون . إن القانون في صفك ، ولن يجسروا على رفع الأمر إلى القضاء ... إياك أن تأخذك بهم الرحمة أو تبكيت الضمير .

وأجابته " **كاترين** " :

– إن ضميري لا يبكتني ، فقد خبرت عقوقهم ، فطوال السنوات العشر التي أمضيتها معها لم يطرق أحد منهم بابها . والآن وقد ماتت يزعمون أن لهم الحق في ثروتها .

يعقب الدكتور " **هاريسون** " في حماس قائلا :

– إن لك الحق كل الحق في أن تستمتعي بأموالها ... لقد أفنيت زهرة عمرك في خدمتها .

وسألته " **كاترين** " :

– هل تعرف كم تبلغ تركتها .. ؟

وأجاب :

– لا أعرف ، ولكنني أعتقد أنها يمكن أن تدر عليك دخلا سنويا لا يقل عن خمسمائة جنيه .

وابتسمت "**كاترين**" و قالت :

– وهذا هو ما ظننته أنا نفسي ، والآن اقرأ هذا .

ودفعت إليه بالخطاب الأزرق الذي جاءها مع البريد .

وتجلت الدهشة في وجه الطبيب ، وغمغم :

– هذا عجيب .. ! إنها ثروة طائلة . لا شك في أنها لم تكن تنفق خلال

الأربعين سنة الماضية ، فتكدست مدخراتها . إنك الآن يا عزيزتي امرأة ثرية جدا .

فأومأت برأسها مؤمنة وقالت :

– اعتقد هذا .

روى الدكتور " **هاريسون** " النبأ لزوجته فقالت :

– إن " **كاترين جراي** " قديسة تستحق ما نالها من خير .

وحين خرج الطبيب مضت زوجته تزور " **كاترين جراي** " هنأتها بالثروة التي هبطت عليها .

وشكرت لها " **كاترين** " كريم مشاعرها ، ثم قالت الزائرة :

– لقد جئت أبغي أن أتحدث إليك عن نفسك وعن خططك المستقبلة . ترى ماذا تنوين أن تفعلي .. ؟

فأجابت الفتاة :

– لم أفكر بعد في شيء على وجه التحديد ، ولكني أريد أن أرى الدنيا وأطوف بأرجائها .

فقالت المرأة الطيبة :

إنك محقة في هذا ، فحسبك أنك دفنت نفسك هذه السنوات في هذه البقعة البدائية .

وعادت " **كاترين** " تقول :

– إني في حاجة إلى الانطلاق .سأسافر أولا إلى " **لندن** " لأقابل محامي وبعد ذلك . . .

فقاطعتها السيدة " **هاريسون** " :

– إنك يا " **كاترين** " فتاة جميلة ، ولا تفتقرين إلا إلى الثياب العصرية الأنيقة .

فضحكت الفتاة وقالت :

– إنني أعرف أنني لست بالجميلة ، ولكنني على أية حال في حاجة إلى ثياب

جميلة ، وسوف أبادر إلى شرائها بمجرد وصولي إلى " **لندن** " .

وذهبت " **كاترين** " تزور عجوزا تدعى الآنسة " **فاينر** " من صديقات مخدومتها التي رحلت إلى العالم الآخر .

ورددت الآنسة " **فاينر** " نفس ما سمعته من السيدة " **هاريسون** " .. قالت لها إن حظها من الجمال محدود ، وإن كانت لعينيها الرماديتين النجلاوين جاذبية لا تقاوم ، وقالت أيضا إن الثياب الجميلة كفيلة بإبراز جمالها . وفي صباح اليوم التالي غادرت " **كاترين جراي** " قرية " **سان ميد** " وفي وداعها كان أهل القرية جميعا يحفون بها ويحيونها في حرارة .

- 8 -

كانت ليدي " **تامبلين** " إحدى سيدات المجتمع في " **الريفيرا** " ، وكانت فيلا الليدي " **مرجوريت** " التي تقطنها مشهورة بالحفلات الرائعة التي تقام فيها ، وهي حفلات يؤمها رهط غير قليل من علية القوم ونجوم المجتمع .

وفي ذلك الصباح من أيام شهر كانون الثاني (يناير) كانت ليدي " **تامبلين** " جالسة في الشرفة تطالع الصحف .

وهتفت بابنتها " **لينوكس** " .

– هذا غريب .. ! مدهش .. !

وتناولت الفتاة الصحيفة وجرت بعينيها على الفقرة التي أومأت إليها أمها ، ثم قالت :

– وأي شيء في هذا .. ؟ إنه أمر مألوف لا غرابة فيه .. امرأة عجوز تقضي نحبها وتوصي بملايينها للرفيقة التي آنست وحدتها .

فقالت أمها :

– صدقت ، ولكن الأمر الغريب أن هذه الفتاة " **كاترين جراي** " تمت إلينا

بصلة القرابة . إنها تكاد تكون ابنة عمي وكنت أسائل نفسي ...

فقاطعتها ابنتها " **لينوكس** " بصراحتها المؤلمة المعهودة :

– كنت تسائلين نفسك عما إذا كان في وسعك أن تصيبي قسطا من المال الذي هبط عليها من السماء

فزمجرت أمها في نبرة لائمة :

– الا تكفين يا عزيزتي عن هذه الأفكار السخيفة .. ؟

واستطردت الأم :

– كنت أسائل نفسي عما إذا كان واجبا عليّ أن أدعوها للإقامة معنا فترة من الوقت .. ؟ إنها قريبتنا ويجب أن نرعاها .

فقالت " **لينوكس** " ساخرة :

– صلة الرحم أم صلة المال .. ؟

– تبالك من مزعجة لا تطاق يا عزيزتي "**لينوكس**" .

وفي هذه اللحظة جاء إلى الشرفة زوجها **الفيكونت** "**تامبلين**" الذي يصغرها ببضعة أعوام .

كان " **الفيكونت** " هو الزوج الرابع لليدي "**تامبلين**" ، أتاها باللقب النبيل الذي تهفو إليه ، وأغرقته في أموال أزواجها الثلاثة الذين رحلوا إلى العالم الآخر .

وتابعته ببصرها وهو يهبط الدرج إلى الحديقة . وعادت "الليدي" تقول :

– لا شك في أن عزيزتي " **كاترين** " عاشت أيامها في الريف لا تعرف شيئا عن الدنيا ، والآن وقد هبطت عليها هذه الثروة فهي في حاجة إلى من يرعاها ويدفعها إلى حياة المجتمعات الراقية . وسوف أكون أنا رائدتها .

وبنفس الصراحة الكريهة قالت " **لينوكس** " :

– وما المبلغ الذي تعتقدين أنك ستبتزينه منها مقابل هذه " الخدمة " .. ؟

– " **لينوكس** " .. الا تكفين عن هذه العبارات ؟

– أليس هذا هدفك الحقيقي يا أماه .. ؟

واستطردت الأم :

– إنني أذكر أنها كانت فتاة لطيفة .

– الا تخشين ان تطغى فتنتها على " **تشوبي** " ؟

– إن زوجي لا يمكن ان ينظر إلى امرأة سواي .

– بالتأكيد .. بالتأكيد .. فهو ذكي يعرف كيف يحرص على اليد التي تطعمه .

– يا إلهي .. ! إنك لا تحتملين يا عزيزتي .

ولم تتردد الليدي "**تامبلين**" ... تناولت رقعة من الورق ، وسطرت على الفور خطابا رقيقا لابنة العم العزيزة .

وجاءت " **كاترين جراي** " إلى "**لندن**" ، ومضت من فورها إلى مقابلة محامي مورثتها الذي يتولى أمر التركة .

وتداولا برهة في شأن الوصية ، ثم أطلعته على خطاب السيدة " **صامويل هاتفيلد** " – ابنة عم مورثتها – الذي تهددها فيه بالاعتراض على الوصية . فقال المحامي :

– محاولة فاشلة ... إنني أؤكد لك أنه ليس لهؤلاء القوم سند قانوني للاعتراض على الوصية .

فقالت :

– وهذا هو ما خطر ببالي .

ثم استطردت :

– ومع ذلك فإني أحب أن أخص أقارب السيدة " **هاتفيلد** " بقدر من المال ...

فقال المحامي معترضا :

– وما جدوى ذلك .. ؟

فقالت ضاحكة :

– أعرف أنهم سيسلقونني بالسنة حداد، ومع ذلك فإني مصرة على رأيي.

وخـرجت " **كـاترين** " من مكتب المحامي إلى محل أزياء تديره سيدة فرنسية اشتهرت في "**لندن**" بخبرتها وحسن ذوقها ، وقالت لها في بساطة :

– لقد عشت طوال حياتي أكابد الفقر ، ولم أغادر قريتي الريفية حتى ولا يوما واحدا ، ثم ورثت مالا كثيرا ، وأريد الآن أن أستمتع بأموالي . ولذلك أضع نفسي بين يديك لتشيري عليّ بما ترين . وتفحصتها السيدة بنظرة دارسة ثم قالت :

– إن لك قواما بديعا .. كوني مطمئنة يا سيدتي ... سأختار لك من الثياب ما يضفي عليك جاذبية لا تقاوم .

وفي الطريق إلى الفندق ذكرت الرسالة التي تلقتها من الليدي "**تامبلين**" وقالت في نفسها : إنها الوحيدة التي يمكن أن تقتحم بي أبواب المجتمعات الراقية .

وعرجت على مكتب " **كوك** " للسياحة ، وانتظمت في الصف أمام شباك الحجز تنتظر أن يحين دورها .

كان الرجل الذي أمامها يحجز لنفسه تذكرة للسفر إلى " **الريفييرا** " . وحين استدار منصرفا خطت مكانه ، وشرعت تتحدث إلى الكاتب وهي شاردة بعض الشيء فقد كان ذهنها منشغلا بأمر آخر .

وفجأة تذكرته ... إنه نفس الرجل الذي اصطدمت به في ذلك الصباح في مدخل فندق " **سافوي** " .

وأدارت رأسها تتابعه ببصرها ، فإذا به متسمر عند باب المكتب يتأملها في دهشة، وهو يغمغم في نفسه :

– هذا عجيب ..! إنها هي نفسها .. ! السيدة ذات العينين الرماديتين ..!

- 9 -

مـا لبث " **ديريك كيترغ** " أن استعاد هدوءه وهو الذي غادر مسكن الراقصة "**ميريل**" ثائرا مهتاجا .

إنه في مسيس الحاجة إلى سكينة الأعصاب ليتسنى له أن يتدبر أمره حتى ينتشل نفسه من الهاوية التي يدفعه إليها " **رافيوس فان ألدن** " بلا شفقة أو رحمة . وفي طريقه مر بمكتب " **كوك** " للسياحة ، فتجاوزه ببضع خطوات ، وفجأة استدار في حركة مباغتة راجعا إلى المكتب . وقد استقر رأيه على قرار معين . قال لكاتب الحجز :

– أريد أن أسافر إلى " **نيس** " في الأسبوع المقبل ... يوم 14 كانون الثاني (يناير)، فبم تشير عليّ .. ؟

ورجع الكاتب إلى سجلاته ، ثم قال :

– ثمة ثلاث مقصورات خالية في القطار الأزرق يا سيدي ، فبأي اسم تريدني أن أحجز المقصورة .. ؟

وأجابه " **ديريك** " :

– اسم " **بافيت** " ... رقم 17 شارع " **جرين** " .

وكـان " **بافيت** " هو اسم وصيفه الخاص ، إذ لم يشأ – لغرض في نفسه – أن يحجز المقصورة باسمه . واستدار " **ديريك كيترغ** " منصرفا ، وحل الدور على من يليه .

وقالت الفتاة :

إنني أريد أن أسافر إلى " **نيس** " يوم 14 ... أليس هناك شيء يسمى القطار الأزرق .. ؟

وتناهت إلى أذنيّ " **ديريك** " الكلمات الأخيرة : " القطار الأزرق ويوم 14 " أيضا .. ! يا لها من مصادفة عجيبة

وأدار رأسه يتطلع إلى الفتاة ، وكاد أن يصعق ..

إنها هي بعينها : " السيدة ذات العينين الرماديتين .وسرت في أوصاله رعدة خفيفة .. يا لمصادفات القدر العجيبة .. ! أول لقاء له بها كان في نفس هذا الصباح حين اصطدم بها في مدخل فندق " **سافوي** " .. وها هو ذا يلتقي بها بعد ساعات في مكتب " **كوك** " .. !

وعاد إلى مسكنه بشارع " **جرين** " فارتمى على الأريكة وأمارات الشجن تعلو قسمات وجهه .. إنه غارق في الديون ، والدائنون يسدون عليه الطريق ، فماذا عساه أن يفعل إذا ما وقع الطلاق .. ؟

ورن الجرس ، وكان القادم هو الميجور " **كايتون** " سكرتير المليونير الأمريكي . وابتدره " **ديريك** " بقوله :

– لا شك في أن حماي العزيز أوفدك إليّ في مهمة دقيقة ، فما الذي وراءك ..؟

وبدا على وجه السكرتير انه يتخير عباراته .

قال :

– لكم كنت أود لو أن السيد " **فان ألدن** " أوفد سواي . إنني مفوض يا سيدي من قبل السيد " **فان ألدن** " أن أعرض عليك عرضا نهائيا .

– حقا .. هذا أمر ظريف !

وأجاب الميجور " **كايتون** " :

– لقد أبلغك السيد " **فان ألدن** " أن ابنته سترفع دعوى طلاق ، فإذا سارت القضية في مجراها دون اعتراض منك ، فإنه يعدك بأن يدفع إليك مائة ألف يوم صدور الحكم النهائي بالطلاق .

فقال " **ديريك** " في صوت حاد النبرات يفيض دهشة :

– يا إلهي ..! مائة ألف دولار ..

– بل مائة ألف جنيه ..

وران صمت طويل ، وغرق " **ديريك** " في تفكير عميق .

مائة ألف جنيه .. ! إنها إذن مسرات الحياة ، وعودة " **ميريل** " إليه ، والخلاص من الديون .

وأخيرا رفع " **ديريك كيترنج** " رأسه وقال :

– وهبني رفضت هذا العرض السخي .. ؟

فبدا الارتباك على وجه الميجور " **كايتون** " وقال :

– إنني أشعر بحرج شديد يا سيدي في أن أنقل إليك رسالة السيد " **فان ألدن** " .

– بل أرجو أن تتكلم .. ما أنت إلا مجرد رسول .

– لقد طلب إلي أن أبلغك أنه في حالة الرفض سوف يحطمك ويسحقك سحقا .

وضحك " **ديريك** " في غير اكتراث وقال :

– إذن إليك جوابي ... قل للسيد " **فان ألدن** " إنني أرفض عرضه . وأن عليه أن يذهب إلى الجحيم .

– أهذا هو جوابك النهائي يا سيدي .. ؟

– نعم ... هذا هو ردي النهائي .. عليه اللعنة .

- 10 -

كانت السيدة " **كيترنج** " تتمشى على رصيف محطة " **فيكتوريا** " غارقة في خواطرها ، فأجفلت حين رأت أباها بجانبها يحييها ، فضحك " **فان ألدن** " وقال لها :

– ما بالك أجفلت .. ؟

– لم أتوقع أن أراك هنا .. إنك ودعتني بالأمس ، وقلت إن لديك لجنة هذا الصباح .

– هذا صحيح ، ولكنك أعز عندي من مئات اللجان .

قالت :

– إنك ترهق نفسك بالعمل ، لمَ لا تحضر إلى " **الريفييرا** " الشهر القادم لتقضي

فترة من الاستجمام ؟

– هذا هو ما أفكر فيه فعلا .

وصحبها إلى مقعدها في القطار ، حيث كانت وصيفتها في انتظارها . وانصرفت الوصيفة تنشد مقعدها ، وحين انطلقت صفارة القطار غادر الرجل المركبة ، ولوح لابنته مودعا . وتهالكت " روث " على مقعدها ..

لو أن أباها عرف ما هي مقدمة عليه فما عساه أن يقول .. لا شك في أن بعقلها لوثة من الجنون .. أتفعل هذا وهي ابنة " فـان ألدن " أحد كبار الأغنياء في " أمريكا " .. ؟

وتململت في مقعدها ، ورفعت عينيها إلى السيدة الجالسة أمامها .

كانت امرأة إنجليزية ، وكانت لها عينان رماديتان صافيتان لم تر " روث " لهما مثيلا .

وتناولت السيدة " كيترنج " مجلة مضت تتصفحها ، وإن كانت لاهية عما تجري به السطور ، أما " كاترين جراي " فتشاغلت بالنظر من النافذة .

وعادت دوامة الخواطر تعصف برأس " روث " ... أهي متهورة فيما تنتوي..؟ ولكن لا .. لقد عاشت حياة زوجية قاحلة ، ومن حقها أن تقتنص كل فرص الهناء وليس لأحد أن يلومها .

واختلست نظرة جانبية إلى ذات العينين الرماديتين وعادت تقول في نفسها:

لا شك في أنها بهاتين العينين الصافيتين قد نفذت إلى خبيئة نفسي .. بودي لو أنني كاشفتها بأمري ، فإنني أكاد أنفجر .

انتهى بها القطار إلى "كاليه"، وانتقلت إلى " القطار الأزرق " حيث كانت قد حجزت مقصورتين متجاورتين لها ولوصيفتها ، بينهما باب يصلهما . ومضت " روث " إلى المائدة المخصصة لها في قاعة الطعام ، فإذا بذات العينين الرماديتين تشغل المقعد المواجه .

وقالت السيدة " كيترنج " :

– إنها لمصادفة عجيبة ... نلتقي في قطار " كاليه " ، ثم نلتقي في " القطار الأزرق " .

فأجابت " كاترين " باسمة :

– إن الأقدار تدبر المصادفات بطريقة عجيبة .

وسألتها السيدة " كيترنج " :

– أسبق لك أن زرت " الريفييرا " .. ؟

– بل تلك أول زيارة لي .. وأنت .. ؟

– إنني عادة أقضي فيها كانون الثاني وشباط (يناير وفبراير) .

واستطردت " كاترين " :

– لقد أمضيت حياتي في الريف ، أعمل رفيقة للمسنات من النساء ، ولا أكاد أملك ما أبتاع به حذاء . ولكن السيدة التي أمضيت في صحبتها العشر سنوات الأخيرة أوصت لي عند وفاتها بثروة كبيرة ، وإن بدت في نظرك شيئا تافها .

– ما الذي جعلك تظنين أن هذا هو رأيي .. ؟

فضحكت " كاترين " وأجابت :

– لا أدري ، ولكن ما كاد بصري يقع عليك حتى خيل إليّ أنك من أغنى النساء .

– إنك في هذا على شيء من الصواب .

ثم أردفت وقد اكتسى وجهها مسحة من الجد .

– هل لك أن تصارحيني بما دار في رأسك عني .. ؟

وبان التردد في وجه "كاترين" ، فقالت لها " روث " :

– أرجوك . لا تترددي .. كاشفيني بكل شيء .. عندما التقينا في محطة " فيكتوريا " خامرني شعور مبهم بأنك نفذت إلى طواياي وتكشفت لك خبيئة

نفسي .

– سأكاشفك إذن بما دار في نفسي ... عندما رأيتك دار في خلدي أنك في محنة ، وأنك تكابدين مأساة أليمة .

فقالت " روث " على الفور :

– أصبت .. إنني في محنة شديدة ، وبودي لو أنني كشفت لك دخيلتي .

فابتسمت " كاترين " في رقة ووداعة وقالت :

– انفضي عن نفسك ما تعانين ، فلعل في الحديث ما يفرج كربك .

وقالت " روث " :

– إن لم أتحدث فسوف أنهار .

وصحبتها " روث " إلى مقصورتها ، وكان بها باب داخلي يفضي إلى المقصورة المجاورة حيث كانت تجلس وصيفتها وفي حجرها صندوق مجوهرات مطرزة فوق غطائه الحروف : " ر . ف . ك . "

وأوصدت السيدة " كيترنج " الباب الداخلي ، ثم أنشأت تتحدث في صوت خفيض . قالت :

– إنني في محنة ولا أدري ما ينبغي أن أصنع .. إنني متزوجة ، ولكن ثمة في حياتي رجل كان الحب قد اضطرم بيننا قبل الزواج ، ولكن أبي فرق بيننا في قسوة غير أن الرماد عاد اليوم يشتعل إن زوجي لا يحتمل ولا يطاق ، وله عشيقة يعيش معها ..

وقالت " كاترين " تستحثها إلى الحديث :

– وبعد .. ؟

– الشيء المؤلم أن ضميري يبكتني لأنني خدعت أبي . وأنا متعلقة به أشد التعلق .. لقد أشار عليّ بأن أطلب الطلاق من زوجي ، وهو يعتقد أن القطيعة مازالت قائمة بيني وبين الرجل الآخر ولا يعرف أنني ذاهبة إلى لقائه ..

– ولم لا تتراجعين وتنكصين على عقبيك .. ؟

– وكيف أتراجع وقد اتفقنا على اللقاء .. ؟ أليس في هذا ما يحطم قلبه .. ؟

فقالت " كاترين " في لهجة حازمة :

– دعك من هذه الخزعبلات .. إن القلوب إذا تحطمت فما أهون أن يجبر كسرها .

– ولكنه سيعتقد أنني تخليت عنه بنذالة .

– وهذا الذي تفعلين .. أليس حماقة وطيشا . ؟

ودفنت " روث كيترنج " وجهها في راحتيها وغمغمت :

– لا أدري .. ! لا أدري .

وقالت لها " كاترين " في نبرة حانية رقيقة :

– تذرعي بالشجاعة والهدوء ، وابعثي إلى أبيك ببرقية من " باريس " يهرع إليك على الفور ، فيقف إلى جانبك ويثنيك عن الحماقة التي توشكين أن تتردي فيها

وأشرق وجه الفتاة وهمست :

– يا لأبي المسكين .. ! إنني أعبده فكيف أقدم على خداعه .. ؟

وتناولت منديلها . ومسحت عبراتها وقالت :

– شكرا لك .. لقد كنت مجنونة ..! ولكنني الآن حزمت رأيي واتخذت قرارا.

ونهضت " كاترين جراي " واقفة وهي تقول :

– والآن أرجو أن تأذني لي بالذهاب إلى مقصورتي .

وخرجت إلى ممشى القطار في نفس اللحظة التي مرت فيها الوصيفة من الباب المجاور . وتطلعت الوصيفة من فوق كتف " كاترين " وتجلت على محياها الدهشة. وأدارت " كاترين " رأسها إلى حيث كانت تنظر الوصيفة لتتبين ما أثار دهشتها ، ولكنها لم تر في الطرقة أحدا ، فلا بد أن من دهشت الوصيفة لرؤيته كان قد دخل إلى مقصورته – رجلا كان أو امرأة .

وأخيرا وصل القطار إلى " **باريس** " ، وحين توقف على رصيف " **ليون** " غادرت " **كاترين** " مقصورتها ، ونزلت تتمشى على الرصيف .

ولمحت " **كاترين** " وصيفة رفيقة السفر المجهولة تبتاع لسيدتها سلة طعام للعشاء ، فادركت أن الفتاة آثرت أن تلزم غرفتها وألا تتناول طعامها في قاعة القطار حتى تتحاشى لقاءها بعد أن فضحت نفسها أمامها .

تابع القطار مسيرته ، فذهبت " **كاترين** " إلى القاعة لتتناول عشاءها . وفي هذه المرة شاطرها المائدة رجل ضئيل الجسم، ضخم الشارب ، تنم سحنته على أنه ليس إنجليزيا .

وتطلع الرجل إلى القصة التي جاءت بها " **كاترين** " معها ووضعتها على المائدة أمامها وقال لها :

– يبدو أن الآنسة مغرمة بالروايات البوليسية . . ؟

فردت قائلة :

– إنني أوثرها على غيرها فإن أحداثها مثيرة تشد الأعصاب .

فقال :

– إنك لعلى صواب يا آنسة .

فأردفت :

ومع ذلك فإننا نعرف جميعا أن هذه الأحداث مفتعلة لا تقع في الحياة الحقيقية .

– بل إنها تقع أحيانا يا آنسة . . إن الذي يتحدث إليك الآن يستطيع أن يؤكد لك أن بعض هذه الأحداث اتفقت له .

فرمته " **كاترين** " بنظرة سريعة مستفسرة فاستطرد :

– في يوم من الأيام ، وعلى غير المتوقع قد تجدين نفسك غارقة في غمار هذه الأحداث .

فسألته باسمة :

– أهذه نبوءة منك . . ؟

فأجاب :

– ليس من عادتي أن أتنبأ يا آنسة ولكن ندر أن يجانبني الصواب فيما أبدي من آراء .

وفرغت " **كاترين** " من عشائها ، وفي طريقها إلى مقصورتها مرت بغرفة رفيقة السفر المجهولة ، فرأت بابهامفتوحا و حاجب القطار يسوي فراشها وينسقه ، أما السيدة نفسها فكانت مستندة إلى سياج النافذة ، مولية ظهرها ناحية الباب ، وهي متدثرة بمعطفها " المينك " المعهود . كما لمحت الباب الداخلي مفتوحا أيضا ، وقد تكدست الحقائب في مقصورة الوصيفة ، أما الوصيفة نفسها فلم تكن هناك .

وما إن بلغت " **كاترين** " مقصورتها حتى ارتمت على الفراش ، وما لبثت أن استغرقت في النوم .

*****

استيقظت " **كاترين** " من نومها على حين بغتة .

وجافاها النوم واستبد بها الأرق ، وأخذت تتقلب في فراشها متململة .

وأخيرا زايلت سريرها ، وخرجت إلى ممشى القطار ، والقوم جميعا مستغرقون في النوم ، وأنزلت زجاج النافذة ووقفت عندها تستروح نسمات الليل المنعشة .

ثم خطر لها أن تنشد حاجب القطار لتستفسر منه عن الوقت إذ كانت ساعتها متوقفة ولكنها لم تجده في مقعده المعهود في نهاية المركبة ، وتابعت طريقها إلى العربة التالية ، ولدهشتها رأت رجلا واقفا عند المقصورة التي تشغلها رفيقة السفر ذات المعطف " المينك " ، ويده على مقبض الباب . ولبث مكانه لحظة أو لحظتين وظهره إلى ناحيتها ، وهيئته تنم على التردد والإحجام .

وتبينت فيه " **كاترين** " نفس الرجل الذي التقت به مرتين من قبل ، مرة في

مـدخل فندق " **سـافـوي** " حين اصطدم بها ، ومرة أخرى في مكتب " **كـوك** " للسياحة .

ثم رأته يدير المقبض ويدخل إلى مقصورة صاحبة المعطف " المينك " . ويغلق الباب وراءه .

والواقع أنها لم تكن على يقين من أن هذه هي مقصورة السيدة المجهولة – رفيقة السفر ، وصاحبة المعطف " المينك " ، فإنه من المحتمل جدا أن تكون المقصورة المجاورة لها .

وتنازعت " **كـاترين** " فكرة طارئة : أيكون هذا الرجل هو حبيبها الذي حدثتها عنه السيدة المجهولة .. ؟ أم أنها كانت مخطئة في التعرف على المقصورة ، وأن الرجل إنما دخل إلى مقصورته الخاصة المجاورة لغرفة ذات المعطف " المينك " . ؟

ورجعت " **كـاترين** " إلى مقصورتها ، ولم تكد تمضي دقائق حتى هدأ القطار من سرعته ، ثم توقف في محطة مدينة " **ليون** "

- 11 -

استيقظت " **كاترين جراي** " في صباح اليوم التالي وقد غمرت الشمس الأرض بضيائها ، وحين رجعت إلى مقصورتها بعد أن تناولت فطورها وجدت حاجب القطار منهمكا في تنسيق فراشها ، وقال لها :

– يبدو أننا متأخرون قليلا يا سيدتي .

وجلست إلى جانب النافذة تتأمل المشاهد الرائعة التي يمر بها القطار . وعجبت كيف لم تلتق في قاعة الطعام بالسيدة المجهولة ذات المعطف " المينك " . وعاد إليها الحاجب بعد فترة من الوقت ليخطرها بأن القطار يوشك أن يصل إلى " **نيس** " .

وفطنت " **كـاترين** " إلى أن الرجل كان يبدو مرتبكا مصفر الوجه وكان يتأملها بنظرات غريبة .

وبلغ القطار " **نيس** " ، وهبطت " **كـاترين** " إلى الرصيف ورأت رجلا يتقدم إليها ويسألها :

– إنك الآنسة " **جراي** " فيما أعتقد .. ؟

فلما أومأت إيجابا استطرد يقول :

– إنني " **تشـوبي** " زوج الليـدي "**تامبلين**" .. أتسمحين لي ببطاقة الحقائب حتى أنهي عنك الإجراءات الجمركية ؟

وناولته البطاقة شاكرة ، ومشت إلى جانبه .

وتناهى إليها صوت مهذب يتوجه إليها بالحديث :

– لحظة واحدة يا سيدتي إذا سمحت .

واستدارت " **كاترين** " تتطلع إلى محدثها، فألفته شرطيا في زيه الرسمي .

واستطرد الشرطي :

– معذرة يا سيدتي ولكن ثمة بعض إجراءات لا بد من اتخاذها ، فهل لك أن تصحبيني إلى مركز الشرطة .. ؟

وتدخل " **تشوبي** " في الحديث حانقا . قال :

– ما معنى هذا ؟ ولكن يبدو أنه لا مفر من الإذعان يا آنسة " **جراي** " .

ومضى بها الرجل إلى مقصورة في إحدى المركبات حيث وجدت ضابطا بزيه الرسمي .

وسألها الضابط :

– هل تتكلمين الفرنسية يا سيدتي .. ؟

فأجابت :

– إلى حد كاف فيما أعتقد .

– هذا يهون الأمر فلسنا إذن في حاجة إلى مترجم .. إنني السيد " **كـوكس** " مدير الشرطة ، وقد دعوتك لأستقي منك بعض المعلومات عن السيدة التي كانت

رفيقتك في أثناء الرحلة .. أعني السيدة التي شاطرتك بالأمس مائدة الغداء .

فأجابت :

– إنني لا أعرف شيئا عنها .. لقد تصادف أن جلسنا معا إلى مائدة الغداء فتبادلنا حديثا عابرا .

فقال مدير الشرطة في صوت حاد النبرات :

– و مع ذلك صحبتها إلى مقصورتها بعد الغداء وجلستما تتبادلان الحديث .

– هذا صحيح يا سيدي .

– إذن هل لك أن تعطيني فكرة عن فحوى الحديث الذي دار بينكما .. ؟

– ولكني لا أرى سببا يدعو إلى مصارحتك .

وتأملها مدير الشرطة بنظرة فاحصة وقال :

– السبب في غاية الوضوح .. السيدة التي نتحدث عنها وجدت ميتة في مقصورتها هذا الصباح ... مقتولة .

فصرخت " **كاترين** " :

– وجدت مقتولة .. ! يا إلهي .. !

– أرأيت إذن يا سيدتي أن ثمة سببا قويا يحملني على الإصرار على معرفة ما دار بينكما من حديث .

– ولكن كيف تقتل ووصيفتها في المقصورة المجاورة .

وبعد سكتة قصيرة قال مدير الشرطة .

– لقد أبلغنا حاجب القطار أنه رآك تصحبينها إلى مقصورتها ، فاستدعيناك للإدلاء بمعلوماتك .

وأجابت " **كاترين** " :

– إنني لا أعرف حتى اسمها !

وفي هذه اللحظة قرع باب مقصورة القطار ، فوارب السيد " **كوكس** " الباب

قليلا وقال في غلظة وجفاء :

– لا أريد أن يزعجني أحد الآن .

وقال الرجل الواقف بالباب :

– إنني يا سيدي أدعى " **هيركيول بوارو** " .

وهتف مدير الشرطة الفرنسي في كلمات متعثرة :

– " **هيركيول بوارو** " .. ؟ الشرطي الشهير .. ؟

– هو بعينه يا سيدي .. وإني أذكر يا سيد " **كوكس** " أننا التقينا مرة في إدارة الأمن العام في "**باريس**" ، وأغلب ظني أنك نسيتني الآن لطول العهد .

فهتف مدير الشرطة :

– كلا يا سيدي .. كلا .. تفضل

ودخل " **بوارو** " قائلا :

– لقد جئت لأنني أرجو أن أكون ذا نفع في جلاء بعض غوامض هذه القضية

– إنه ليسعدني يا سيدي أن تتعاون معي .

والقى " **بوارو** " بابتسامة مرحة إلى " **كاترين** " وهو يقول :

– أليس غريبا أن تصدق نبوءتي بمثل هذه السرعة .. ؟ ألم أقل لك إنك قد تجدين نفسك بغتة غارقة في إحدى المغامرات أو الجرائم . وقالت "**كاترين**" :

– لقد ذكرت لمدير الشرطة أن هذه المرأة غريبة عني وأنني لا أعرف حتى اسمها .

فأومأ " **بوارو** " برأسه مؤمنا وقال في دماثة :

– ولكنها تحدثت إليك طويلا حتى ليخيل للمرء أن بينكما صلة وثيقة .

فانبرى مدير الشرطة الفرنسي متدخلا في الحديث :

– إذن حدثينا عن انطباعاتك عنها يا آنسة .

وهكذا انطلقت " **كاترين** " تسرد على المحقق ما دار بينهما كلمة كلمة . فلما أتت على قصتها تطلع المدير إلى " **بوارو** " قائلا :

رفيقتك في أثناء الرحلة .. أعني السيدة التي شاطرتك بالأمس مائدة الغداء .

فأجابت :

– إنني لا أعرف شيئا عنها .. لقد تصادف أن جلسنا معا إلى مائدة الغداء فتبادلنا حديثا عابرا .

فقال مدير الشرطة في صوت حاد النبرات :

– و مع ذلك صحبتها إلى مقصورتها بعد الغداء وجلستما تتبادلان الحديث .

– هذا صحيح يا سيدي .

– إذن هل لك أن تعطيني فكرة عن فحوى الحديث الذي دار بينكما .. ؟

– ولكني لا أرى سببا يدعو إلى مصارحتك .

وتأملها مدير الشرطة بنظرة فاحصة وقال :

– السبب في غاية الوضوح .. السيدة التي نتحدث عنها وجدت ميتة في مقصورتها هذا الصباح ... مقتولة .

فصرخت " **كاترين** " :

– وجدت مقتولة .. ! يا إلهي .. !

– أرأيت إذن يا سيدتي أن ثمة سببا قويا يحملني على الإصرار على معرفة ما دار بينكما من حديث .

– ولكن كيف تقتل ووصيفتها في المقصورة المجاورة .

وبعد سكتة قصيرة قال مدير الشرطة .

– لقد أبلغنا حاجب القطار أنه رآك تصحبينها إلى مقصورتها ، فاستدعيناك للإدلاء بمعلوماتك .

وأجابت " **كاترين** " :

– إنني لا أعرف حتى اسمها !

وفي هذه اللحظة قرع باب مقصورة القطار ، فوارب السيد " **كوكس** " الباب

قليلا وقال في غلظة وجفاء :

– لا أريد أن يزعجني أحد الآن .

وقال الرجل الواقف بالباب :

– إنني يا سيدي أدعى " **هيركيول بوارو** " .

وهتف مدير الشرطة الفرنسي في كلمات متعثرة :

– " **هيركيول بوارو** " .. ؟ الشرطي الشهير .. ؟

– هو بعينه يا سيدي .. وإني أذكر يا سيد " **كوكس** " أننا التقينا مرة في إدارة الأمن العام في "**باريس**" ، وأغلب ظني أنك نسيتني الآن لطول العهد .

فهتف مدير الشرطة :

– كلا يا سيدي .. كلا .. تفضل

ودخل " **بوارو** " قائلا :

– لقد جئت لأنني أرجو أن أكون ذا نفع في جلاء بعض غوامض هذه القضية

– إنه ليسعدني يا سيدي أن تتعاون معي .

والقى " **بوارو** " بابتسامة مرحة إلى " **كاترين** " وهو يقول :

– أليس غريبا أن تصدق نبوءتي بمثل هذه السرعة .. ؟ ألم أقل لك إنك قد تجدين نفسك بغتة غارقة في إحدى المغامرات أو الجرائم . وقالت "**كاترين**" :

– لقد ذكرت لمدير الشرطة أن هذه المرأة غريبة عني وأنني لا أعرف حتى اسمها .

فأومأ " **بوارو** " برأسه مؤمنا وقال في دماثة :

– ولكنها تحدثت إليك طويلا حتى ليخيل للمرء أن بينكما صلة وثيقة .

فانبرى مدير الشرطة الفرنسي متدخلا في الحديث :

– إذن حدثينا عن انطباعاتك عنها يا آنسة .

وهكذا انطلقت " **كاترين** " تسرد على المحقق ما دار بينهما كلمة كلمة . فلما أتت على قصتها تطلع المدير إلى " **بوارو** " قائلا :

– إنها لقصة مسلية .. قصة طريفة .. ! ولكن هل لها شأن يا ترى بالجريمة التي نحن بصددها .. ؟

فقاطعته " كاترين " في شيء من التشكك :

– ولم لا تكون قد انتحرت .. ؟

– لقد خنقت بقطعة من حبل أسود اللون .

فتأوهت " كاترين " في ذعر وهلع . وران الصمت برهة ثم قال مدير الشرطة :

– هلا تفضلت بمرافقتي إلى مقصورة الضحية .. قد تكون هذه الزيارة مزعجة لك ولكنها ضرورية .

وغمغمت " كاترين " وهي تهم واقفة :

– إيه .. ما دمت ترى الأمر ضروريا ..

وقال مدير الشرطة مخاطبا " بوارو " :

– إنه ليسعدني أن تصحبنا يا سيد " بوارو " .

كانت القتيلة مسجاة فوق الفراش ، والأغطية منثورة فوقها ، ووجهها متجه إلى الجدار لا يتبين منه إلا خصلات شعرها المتناثرة المتهدلة .

ألقى السيد " كوكس " يده برفق فوق كتف القتيلة ، وأدار جسدها حتى أصبح وجهها في مجال الرؤية ، واختلجت عينا " كاترين " ، وسرت في أوصالها رجفة ، فقد كان وجه القتيلة مشوها إثر ضربة تلقتها ، حتى كاد يستحيل التعرف على شخصيتها .

وتساءل " بوارو " :

– ترى أحدث هذا قبل موتها أم بعده .. ؟

وأجابه " كوكس " :

– بل بعد الموت .. طبقا لما قرره الطبيب .

وزوى "بوارو" ما بين حاجبيه وقال :

– هذا غريب .. !

ثم تحول إلى " كاترين " وسألها :

– تأملي وجه الضحية .. أمتأكدة أنت من أن هذه هي المرأة التي تحدثت إليها بالأمس في القطار .. ؟

وتحولت " كاترين " إلى الجثة تتأمل الوجه المشوه في شجاعة فذة ، ثم أمسكت بيد القتيلة تتطلع إليها .

وأخيرا رفعت رأسها وأجابت :

– إنني موقنة أنها بعينها .. إن الوجه مشوه إلى درجة يتعذر معها التعرف عليه . ولكن قوامها وشعرها وقامتها أشياء لا يمكن أن ينخدع فيها المرء .

ثم أردفت :

– وفضلا عن هذا فقد لاحظت هذه الشامة وأنا أتحدث إليها .

وأشارت إلى شامة صغيرة في رسغ المرأة القتيلة .

فأومأ " بوارو " برأسه في إعجاب قائلا :

– الحق أنك شاهدة رائعة يا آنسة .

ثم أردف :

– إذن فلا شبهة في شخصية القتيلة . ومع ذلك فالأمر يبدو – عندي – عجيبا .

وعقب " كوكس " :

– لا بد أن القاتل كان فريسة لغضب جامح .

وقال "بوارو" :

– لقد فاجأها القاتل من الخلف ، ولف عنقها بالحبل ، وخنقها .. هذا هو ما حدث ، فلماذا ينزل على وجهها بهذه الضربة التي شوهته .. ؟ لِمَ فعل ذلك .. ؟ هل أراد ألا يتعرف أحد على شخصيتها .. ؟ أم أنه كان فريسة حقد طاغ .

ودار " بوارو " بعينيه في أرجاء المقصورة .

كانت ملابس القتيلة مطوية في عناية وموضوعة على أحد المقاعد ، وكان المعطف الفرو معلقا على المشجب . ثم مضى إلى المقصورة الداخلية الخاصة بالوصيفة .

لم يكن الفراش في المقصورة المجاورة منسقا ، وكانت على المقعد ثلاث أو اربع سجاجيد مكومة بغير ترتيب . كما كانت بجانبه بضع حقائب وعلبة للقبعات.

وتحول " بوارو " فجاة إلى " كاترين " يسالها :

– إنك كنت هنا ليلة الأمس ، فهل تلاحظين اي تغيير .. ؟ هل هناك شيء مفقود .. ؟

وتفحصت " كاترين " محتويات المقصورتين ثم قالت :

– نعم .. ثمة شيء ناقص .. علبة من جلد التمساح ، حمراء اللون ، مطرزة بهذه الحروف الأولى من الأسماء : " ر. ف. ك ، " ولعلها علبة مجوهرات أو علبة لادوات التجميل .

وسالها " بوارو " :

– ومتى رأيت هذه العلبة .. ؟

– كانت الوصيفة ممسكة بها عندما صحبتني السيدة إلى مقصورتها . وإذا كانت الوصيفة والعلبة قد اختفتا فالسبب بين واضح ، اي أنها السارقة .

فقال السيد " كوكس " معترضا :

– لقد غادرت الوصيفة القطار في " باريس " قبل الجريمة، وسادعو الآن ملاحظ القطار ليسمعكما القصة بنفسه .

وكان " بوارو " لايزال منهمكا في فحص المقصورة المجاورة الملحقة ، وتناول إحدى السجاجيد ، وأخذ يفحصها بعناية ، ثم التقط شيئا كان عالقا بها ، فساله " كوكس " في اهتمام :

– ما هذا .. ؟

– أربع شعرات بنية اللون ..

واقترب من الجثة يضاهي الشعرات ، ثم قال :

– التشابه واضح .. إنها من شعر السيدة

ورجعوا إلى المقصورة الكبيرة واستدعى المدير " كوكس " ملاحظ القطار لاستجوابه .

وقال له السيد " كوكس " :

– إنك تدعى " بيير ميشيل " .. ؟

– نعم يا سيدي .

أوما " كوكس " إلى " بوارو " قائلا :

– أرجوك أن تعيد على مسامع هذا السيد القصة التي رويتها لي عما حدث في " باريس ".

– حسنا يا سيدي .. عندما غادر القطار محطة " ليون " جئت لأنظم الفراش ظنا مني أن السيدة في قاعة الطعام تتناول عشاءها . ولكني وجدتها جالسة في المقصورة ومعها سلة طعام اشترتها فيما يبدو من محطة " ليون "، وقالت لي إنها اضطرت إلى أن تنزل وصيفتها في " باريس " ، فيكفي أن أنظم فراش مقصورتها هي، دون فراش المقصورة الصغيرة الإضافية الخاصة بالوصيفة . واستطرد ملاحظ القطار يروي الأحداث التي مرت به :

– تناولت السيدة سلة الطعام وانتقلت بها إلى المقصورة الصغيرة الإضافية ، وتركتني في المقصورة الكبيرة أنسق الفراش . ثم طلبت مني الا أوقظها مبكرة في الصباح ، وأن أدعها مستغرقة في النوم .

وساله المدير :

– ألم تدخل إلى المقصورة الصغيرة .. ؟

– كلا يا سيدي .

– إذن فلم تلاحظ إن كانت في المقصورة الصغيرة مع الحقائب علبة مجوهرات حمراء اللون .

– كلا يا سيدي .. لم الاحظ شيئا من هذا .

وتساءل " بوارو " :

– أكان من الممكن أن يختبئ أحد في المقصورة الصغيرة دون أن تفطن أنت إلى وجوده .. ؟

وتريث الملاحظ برهة مفكرا ثم قال :

– كان باب المقصورة مواربا ، فلو أن أحدا وقف وراءه لما فطنت إلى وجوده . أما السيدة فكانت لابد أن تراه بسهولة عند دخولها إلى المقصورة .

– حسنا .. حدثنا إذن عما جرى هذا الصباح .

– لقد أمرتني السيدة ألا أوقظها ، فتركتها نائمة ولكني طرقت بابها قبل وصولنا إلى مدينة " **كان** " فلما لم أتلق جوابا فتحته ودخلت ، وكانت السيدة مستلقية على الفراش ، فلمست كتفها لأوقظها ، وعندئذ أدركت الحقيقة .

وإذ انصرف ملاحظ القطار قال مدير الشرطة :

– طبقا للتقرير الطبي فإن السيدة قتلت قبل الوصول إلى " **ليون** " ، فمن هو القاتل إذن .. ؟ يتبين من أقوال الآنسة " **كاترين** " أن السيدة كانت ستلتقي بصديقها في إحدى مراحل الرحلة . وتصرفها بالتخلص من وصيفتها وإنزالها في "**باريس**" يدعم هذه الشهادة .. فهل صعد صاحبها إلى القطار في "**باريس**" ..؟ وهل أخفته في المقصورة الداخلية .. فما يدرينا أنهما تشاحنا في أثناء الرحلة ، ولعله فتك بها في نوبة من نوبات الغضب .

وتريث المدير " **كوكس** " برهة ، ثم قال :

– أما الافتراض الثاني ، وهو الأدنى إلى تفكيري ، فهو أن القاتل واحد من لصوص القطارات .. تسلل إلى الممشى فاقتحم المقصورة ، وقتل السيدة ، واستولى

على علبة الجوهرات الحمراء ، ثم غادر القطار في مدينة "**ليون**" .

فقال " **بوارو** " :

– وما يدريك أنه واصل رحلته ؟

– هذا محتمل أيضا ، ولو فعل ذلك لكان تصرفه ينطوي على الجراة .

ومرت دقيقتان لاذ " **بوارو** " خلالهما بالصمت ، ثم قال :

– إذن فأنت تعتقد أن القاتل أحد لصوص القطارات .. ؟

فهز مدير الشرطة الفرنسي كتفيه وقال :

– هذا مجرد احتمال غير قاطع ... يجب قبل كل شيء أن نعثر على الوصيفة ، فإن من المحتمل أن تكون علبة المجوهرات معها ولم تسرق ، فإذا كان الأمر كذلك كان المتورط في الجريمة هو صديق السيدة وأنها جريمة عاطفية دون شك .

وتطلع " **بوارو** " فجاة إلى " **كاترين** " وسألها :

– أما رأيت أو سمعت شيئا في أثناء الليل استرعى اهتمامك .. ؟

فأجابت :

– لا شيء إطلاقا يا سيدي .

وقال لها المدير :

– أرجو أن تزودينا بعنوانك .

وقال لها " **بوارو** " وهو يشيعها إلى باب المقصورة :

– اسمحي لي يا آنسة بمقابلتك مرة أخرى ...

فأجابت باسمة في رقة :

– يسعدني أن ألقاك في كل وقت .

فقال لها " **بوارو** " ضاحكا :

– إنها مغامرة بوليسية مثيرة ، وسأشركك فيها .

- 12 -

قالت الليدي "**تامبلين**" في دهشة :

– إذن فقد كنت غارقة في خضم المغامرة المثيرة .. ؟

وقال زوجها السيد " **إيفانز** " مؤمنا :

– إذن فهي جريمة قتل حقيقية .. !

استرسلت الليدي "**تامبلين**" في حماس :

– يجب أن نستغل الموقف ونستفيد منه إلى أقصى حد .

كانوا جلوسا إلى مائدة الغداء ، فتطلعت " **كاترين** " إلى الأشخاص الثلاثة الذين يدورون بالمائدة ، وجعلت تنقل نظراتها بينهم في حيرة .

وقالت ليدي "**تامبلين**" تفسر ما رمت إليه :

– نعم .. يجب أن تفعل شيئا .. مثلا نكتب مقالاً يتضمن تفاصيل الحادث طبقا لما رأيته بنفسك ، ونتقاضى عنه أجرا ضخما .

فأجابت " **كاترين** " في صراحة حاسمة :

– ليس في نيتي أبدا أن أفعل شيئا من هذا القبيل .

– ولم لا .. ؟ إننا بهذا يمكن أن نكسب مالا .

واسترسلت تستجوبها في لباقة :

– قلت إنها سيدة أنيقة ، ولديها معطف فاخر من فراء " المينك " .. ؟ لابد أنها سيدة ثرية . ترى من تكون ؟ ألم تسمعي اسمها ؟

– لقد تردد اسمها أمامي ولكني لا أذكره .

ولم يكن في نية " **كاترين** " أن تخطر الليدي "**تامبلين**" بالاسم حتى لو كانت تذكره .

وكانت ابنتها " **لينوكس** " تدرك أن " **كاترين** " لا تنوي أن تبوح بما تعلم .

وأرادت " **لينوكس** " أن تنقذ " **كاترين** " من هذا الموقف فأخذت بذراعها ،

وصعدت بها إلى الطابق العلوي .

وما إن احتوتهما غرفة المخدع حتى ابتدرت " **لينوكس** " ضيفتها بقولها :

– لا تحفلي بمحاولات أمي معك ، فإنه لا همَّ لها إلا أن تكسب المال بأية وسيلة تخطر بالبال .

وتركت " **كاترين** " في مخدعها تنسق حاجاتها وتبدل ثيابها ، وهبطت إلى الطابق الأرضي ، فوجدت أمها وزوجها مازالا يتداولان في أمر "**كاترين**" .

فقالت الأم :

– إن قوامها رشيق وثيابها أنيقة .

وقال السيد " **إيفانز** " :

– هل لاحظت عينيها .. ؟عينان رماديتان نجلاوان لا نظير لهما .

– إننا نبحث الآن ما هو أهم من عينيها

فقال زوجها مؤمنا :

– تماما .. تماما .

وقالت الليدي "**تامبلين**"

– إنها تبدو رائعة ويمكن أن تغشي أرقى البيئات الاجتماعية .

فانبرت " **لينوكس** " تقول :

– إن لها جميع الصفات التي تؤهلها لكي تكون سيدة مجتمع راق .

فقالت الأم :

– ولكنها ضيقة الفكر .. وهذا أمر طبيعي مفهوم ، فقد ترعرعت في بيئة مغلقة. فأطلقت "**لينوكس**" ضحكة ساخرة وقالت :

– إنني أعرف أسلوبك يا أماه ، إنك ما أتيت بها إلى هنا إلا لتشاركيها ثروتها بطريقة ما .

فقالت الأم وقد ازداد وجهها تقطيبا :

– يا لك من فتاة جافية الذوق تقذفين بالكلمات كأنها أكداس من الحجارة . . .

أتراك نسيت أنها ابنة عمي . . ؟

– ابنة عمك . . ولِمَ لم تذكري أواصر القرابة إلا عندما هبطت عليها الثروة . . . ؟

وصعدت " **لينوكس** " مرة أخرى إلى مخدع "**كاترين**" وقالت تسألها :

– أتريدين مني أن أساعدك . . ؟

وشكرتها " **كاترين** " فاستوت " **لينوكس** " جالسة على حافة الفراش وقالت متسائلة :

– ما الذي جاء بك إلى بيتنا يا " **كاترين** " . . ؟

فأجابت :

– إنني أحب أن أختلط بالمجتمعات الراقية .

– دعك من البلاهة فأنت لست بالفتاة الغبية . . . إنك تدركين أن ثيابك لا تلائم المجتمعات الراقية .

– إن في وسعي أن أشتري سواها .

ومضت الفتاتان تتبادلان الحديث – برهة من الوقت – عن الأزياء الحديثة والثياب الملائمة .

وفجأة قالت " **لينوكس** " :

– اسمعي يا " **كاترين** " . . . إنني أشعر نحوك بالكثير من الميل ، وقد جئت الآن لأحذرك . . . إن أمي مولعة باستغلال الناس ، وهي تنوي أن تستغلك إلى أقصى حد ، فكوني على حذر .

وتطلعت إليها "**كاترين**" في دهشة :

واستطردت الفتاة :

– إنك سليمة الطوية صافية النفس وستحاول أمي أن تستدرجك إلى فخاخها ، ولكنك لست بالغبية البلهاء فكوني على حذر .

فقالت "**كاترين**" :

– ولكني لا أراها فعلت شيئا .

– ألم تدركي أنها حاولت أن تستدرجك لتعرف منك قصة جريمة القطار الأزرق حتى تذهب بها إلى إحدى الصحف وتكسب من ورائك حفنة من المال .

وتعالى صوت الليدي "**تامبلين**" من البهو قائلا :

– " **لينوكس** " . . . لقد اتصل " **ديريك** " بي الآن . . . إنه يريد أن يحضر الليلة ليشاركنا العشاء فما رأيك . . ؟

فردت عليها " **لينوكس** " :

– فليحضر إن شاء .

ثم تحولت إلى " **كاترين** " وقالت ووجهها يتألق بشرا :

– إن حضوره يسعدني ، وسوف يروق في عينيك .

– و من يكون " **ديريك** " هذا . . ؟

– إنه ابن اللورد "**ليكنبوري**" ، المتزوج بأمريكية ثرية وهو وسيم الوجه حلو الحديث .

– وهل أنت مفتونة به . . ؟

– إلى حد ما في بعض الأحيان .

وبعد لحظات من الصمت عادت " **لينوكس** " تواصل حديثها :

– إن جميع أسرة " **ديريك** " مغامرون ومقامرون . وفي القرون الوسطى كانوا يقامرون حتى على زوجاتهم وضياعهم ، ويقومون بمغامرات جريئة ، و"**ديريك**" نفسه يقدم على أعمال غاية في الجسارة لأن روح المغامرة التي ورثها عن أجداده تسري في دمه . إنه يصلح لأن يكون قاطع طريق أو رئيس عصابة .

وحين خلت " **كاترين** " إلى نفسها استغرقها التفكير ومضت تفكر في حادث القطار .

ترى ما هو القرار الذي اتخذته " **روث** " قبل مقتلها .. ؟

لقد صارحت " **كاترين** " بعد أن أسدت إليها النصح بأنها استقرت على قرار معين ، ولكنها لم تفصح عن فحواه ، فهل كانت تنوي أن تعود إلى زوجها وتتخلى عن فكرة الطلاق .. ؟ أم كانت على العكس قد استقرت على أن تطلب الطلاق وتتزوج حبيبها .. ؟

وفجأة تذكرت " **كاترين** " شيئا غاب عن ذهنها فلم تذكره للشرطة .

لقد تذكرت فجأة أنها رأت رجلا يدخل مقصورة المرأة التي قتلت . ولكن أليس محتملا أن تكون مخطئة .. ؟

ألا يجوز أنه دخل المقصورة المجاورة لا مقصورة القتيلة .. ؟

ومهما يكن فإنها تعرف هذا الرجل .. لقد التقت به مرتين مصادفة : مرة في فندق " **سافوي** " عندما كادت تصطدم به عند الباب . ومرة أخرى في مكتب "**كوك**" للسياحة .. ولكنه كان يبدو دائما رجلا مهذبا رقيقا ، ويستحيل أن يكون مثله قاتلا أو لص مجواهرت .. !

وبعد لحظات لحقت بأفراد الأسرة في الشرفة المطلة على مياه البحر ، تتأمل المياه الصافية الساكنة وتصغي في الوقت ذاته إلى ثرثرة الليدي "**تامبلين**" وتفاهاتها .

*****

في ذلك المساء ارتدت " **كاترين** " ثوب سهرة قرمزي ، فأضفى عليها جمالا خلابا ، وحين خطت إلى قاعة الاستقبال الخاصة بالضيوف ، انتهبتها الأبصار ، تحدق فيها بدهشة ، فانتابها شعور من الارتباك . وبادر إليها "**تشوبي**" يحمل إليها قدحا من "الكوكتيل" ، ثم تأبط ذراعها ومضى بها إلى الجمع المحتشد .

وفتح باب القاعة ودخل أحد الضيوف فهتفت الليدي "**تامبلين**" :

– آه .. أهذا أنت يا " **ديريك** " .. ؟ لقد كنافي انتظارك لنشرع في تناول

العشاء ، فهيا بنا الآن إلى قاعة الطعام .

وتطلعت " **كاترين** " إلى القادم الجديد ، وأجفلت .

إذن فهذا هو " **ديريك** " الذي حدثتها عنه " **لينوكس** " . إنه نفس الرجل الذي التقت به عند باب فندق " **سافوي** " ، ثم في مكتب "**كوك**" للسياحة . وها هي ذي تلتقي به للمرة الثالثة في قصر الليدي "**تامبلين**" .

وهو أيضا عرفها على الفور ، فقد تسمر في مكانه وألقى إليها نظرة طويلة ، ثم تابع طريقه إلى الليدي "**تامبلين**" . وفي قاعة المائدة وجدته جالسا إلى جوارها . قال لها يحدثها :

– إنك تعرفين أننا التقينا في فندق " **سافوي** " ، ثم في مكتب " **كوك** " ، فلا تحاولي أن تزعمي أننا لم نلتق أبدا .

فأجابته " **كاترين** " :

– ولِمَ أنكر ..؟ ولكن ليست هذه ثالث مرة نلتقي فيها .. إنها المرة الرابعة .. لقد رأيتك في القطار الأزرق .

فقال مرددا :

– القطار الأزرق .. !

وبدت في صوته نبرة متوترة ، بيد أنه ما لبث أن قال في غير اكتراث :

– أعتقد أن حادثا وقع في القطار في ذلك اليوم .. ؟

فأجابته " **كاترين** " متمهلة :

– نعم ... لقد مات أحد الأشخاص .

فاستطرد " **ديريك** " في بساطة :

– ليس من الملائم أن يموت المرء في أثناء السفر ، فإن الإجراءات الدولية معقدة .

وكانت تجلس في مواجهته عبر المائدة سيدة أمريكية بدينة ، فمالت تقول له – بما هو معروف عن الأمريكيين من الفضول والبساطة – :

– إنني أعتقد أنك نسيتني يا سيد " **كيترغ** " .. ؟

وتحول إليها " **ديريك** " ، في حين حملقت إليه " **كاترين** " .

" **كيترغ** " .. ! طبعا هذا هو الاسم .. ! إنها تذكره الآن دون شك ... أليس هذا من تصاريف القدر العجيبة .. ! إنه بعينه الرجل الذي رأته يدخل مقصورة "**روث كيترغ** " فقد ذكر أمامها مدير الشرطة أن القتيلة تدعى السيدة " **كيترغ** "، وتصرفاته توحي بأنه لا يعرف أن زوجته قد قتلت ، ها هو ذا جالس بجانبها على مائدة الطعام ، وهو لايزال يجهل مصير زوجته .

وأقبل في هذه اللحظة أحد الخدم يحمل إليه رقعة مطوية ، فتناولها منه واستأذن في قراءتها ، ثم تبدت في أسارير وجهه دهشة عميقة ، ثم غمغم يقول : – هذا أمر عجيب .. ! عجيب جدا .. !

ثم التفت إلى ربة الدار قائلا :

– أخشى يا " **روزالي** " أن أراني مضطرا إلى الانصراف . إن مدير الشرطة يريد مني أن أوافيه في الحال .

ثم أطلق ضحكة مرحة وقال :

– مما يؤسف له أن يحرمني هذا الأحمق من الطعام الجيد والشراب الطيب .

- 13 -

بعد ظهر الخامس عشر من شهر شباط (فبراير) كان المليونير " **رافيوس فان ألدن** " في جناحه في فندق " **سافوي** " وسكرتيره " **كايتون** " يلقي إليه بكلمةعابرة تتصل بالعمل ، وإن بدا له أن المليونير شارد الفكر لا يفقه ما يقول . ورفع "**رافيوس**" رأسه وقال في شيء من الشرود .

– هل لك أن تعيد عليّ ما قلت مرة أخرى .. ؟

واستطرد المليونير:

– أرجو أن تعيد عليّ ما سبق لك أن ذكرته عن رؤيتك وصيفة " **روث** " في "**باريس**" في الليلة الماضية لا شك في أنك أخطأت وخدعك نظرك

فأجاب السكرتير :

– لم أخطئ يا سيدي فقد تحدثت إليها .

– تحدثت إليها .. ؟ إذن أعد عليّ القصة كلها .

– بعد أن فرغت من مقابلة " **بارثيمرز** " عدت إلى فندق "**ريتز**" لأعد حقيبتي وأتناول عشائي على أن ألحق بقطار التاسعة مساء . وفي الاستعلامات رأيت وصيفة السيدة " **كيترغ** " ، فمضيت إليها وسألتها عما إذا كانت السيدة مقيمة في نفس الفندق .

فقاطعه " **فان ألدن** " :

– وبالتأكيد أجابتك بأن السيدة سافرت إلى "**الريفييرا**" ، وأنها بعثت بها إلى فندق " **ريتز** " لتنتظر تعليماتها ...

– تماما يا سيدي ... كان هذا هو ردها فعلا .

فردد " **فان ألدن** " :

– هذا عجيب ... عجيب جدا ... إلا إذا كانت الوصيفة كاذبة أو مفترية .

– الحق أني لا أدري ... كان المفروض أن تمنحها السيدة " **كيترغ** " قدرا من المال وتبعث بها إلى "**انجلترا**" ، لا أن تطلب منها أن تنتظرها في "**باريس**" .

– لِمَ فعلت ابنته ذلك .. ؟ لِمَ أقصت وصيفتها وأبعدتها .. ؟ هناك سر خفي يكمن وراء هذا .. ؟ لا بد أن ابنته كانت تنوي لقاء هذا الأفاق " **أرماند دي لاروش** " .. !

– نعم .. ذلك هو السر الخفي ، فأقصت وصيفتها حتى لا تفضح فعلتها .

وتحول إلى سكرتيره قائلا :

– إن من طباع ابنتي السيئة أنها تغير رأيها ما بين لحظة وأخرى دون سبب

جدي . ولكن ألم تذكر لك الوصيفة سببا لما حدث . . ؟

– لقد ذكرت لي أن السيدة " **كيترغ** " التقت بصديق لها .

– حقا . . ؟ أهذا ما قالته . . ؟

إذن فقد تحققت مخاوفه ، فهذا الصديق لا يمكن أن يكون إلا هذا المدعو الكونت "**دي لاروش** " .

وألفى نفسه عاجزا عن مغالبة مشاعره فانفجر يقول :

– إنه لمن أشق الأمور على الإنسان أن يجعل المرأة تستجيب إلى النصح والإرشاد . . . إنها دائما تندفع في طيش وتهور وراء غريزتها .

ودخل أحد خدم الفندق يحمل إليه برقية . وما إن فض " **فان ألدن**" البرقية وقرأها حتى ترنح قليلا وتشبث بمسند المقعد وقد امتقع وجهه . وسأله سكرتيره :

– ما الذي دهاك يا سيدي . . ؟

وهب السكرتير " **كايتون**" منزعجا وأقبل على مخدومه . وغمغم هذا في صوت مضطرب :

– إنها " **روث** " . . . لقد قتلت .

– أوقع للقطار حادث . . ؟ هل خرج عن القضبان ؟

وهز " **فان ألدن** " رأسه سلبا وقال :

– كلا . . . لقد فهمت من البرقية أن جواهرها سرقت وقتلت . . . ويلاه . . ابنتي العزيزة ماتت . . قتلت .

وغمغم " **كايتون** " ببعض كلمات العزاء والتسرية . واستطرد " **فان ألدن** " :

– هذه البرقية من شرطة " **نيس** " يجب أن أسافر في أول قطار .

وتطلع " **كايتون** " إلى الساعة وقال :

– يمكنك يا سيدي أن تلحق بقطار الخامسة .

–تماما . . . وسوف تصحبني يا " **كايتون** " .

ورن جرس التليفون ، وتناول السكرتير السماعة . وكان المتحدث هو السيد "**جوبي** " . وقال " **فان ألدن** " :

– فليصعدوا به .

واستعاد " **فان ألدن** " رباطة جأشه . وقال يخاطب زائره

– إنني على عجل من أمري يا " **جوبي** " فهات ما عندك وعجِّل به .

فأجاب الرجل :

– لقد أمرتني أن أتعقب خطوات السيدة " **كيترغ** " . . . لقد سافرت صباح الأمس من " **لندن** " إلى " **الريفييرا** " .

وسأله " **فان ألدن** " :

– وما هو القطار الذي استقلته . . ؟

أجاب :

– القطار الأزرق يا سيدي .

وصمت السيد " **جوبي** " برهة ، ثم أردف وهو يتنحنح :

– وفي نفس القطار سافرت أيضا الآنسة "**ميريل**" الراقصة الشهيرة في ملهى " **بارثيلون** " .

- 14 -

كان في قاعة التحقيق بخلاف القاضي رجل ثالث بادر مفتش الشرطة بتقديمه إلى الزائر بقوله :

– هذا يا سيد " **فان ألدن** " هو السيد " **هيركيول بوارو** " الشرطي السري الشهير .

وقال السيد " **فان ألدن** " مرحبا :

– إن شهرته تطبق الآفاق .

واستطرد مفتش الشرطة :

– كان السيد " بـــوارو " في القطار الازرق عند وقوع الحادث ، وقد تطوع للمساهمة معنا في كشف غوامض هذه الجريمة .

وتحول " فان ألدن " إلى الشرطي البلجيكي قائلا :

– إنني غني جدا يا سيد " بوارو " ، فهل أستطيع أن أطلب خدمة منك ؟

– إنني أضع نفسي رهن إشارتك يا سيدي .

– أريد منك يا سيد " بوارو " أن تكتشف القاتل .

وقال قاضي التحقيق السيد " كاريدج " :

– و الآن فلنشرع في العمل بان نبدأ باستجواب الوصيفة " آدي ميسون " ، فقد بلغني يا سيد " فان ألدن " أنك اهتديت إلى مكانها وأنك صحبتها معك إلى هنا .

فأجاب المليونير :

– هذا صحيح ، فقد التقينا بها صدفة ونحن نمر بـ"باريس" .

واستدعيت "آدي ميسون" وسئلت عن اسمها فأجابت بأنها تدعى :

" آدي بياتريس ميسون " .

واستطرد القاضي يسألها :

– إنني لم أفهم السر في بقائك في "بـاريـس" بعد أن عدلت سيدتك عن اصطحابك معها إذ كان المفترض أن تعودي إلى " لندن " .

وأجابت الوصيفة :

– كان مفروضا يا سيدي أن نمضي مباشرة إلى " نيس " .

– هل رافقت سيدتك في الخارج قبل هذه المرة .. ؟

– كلا يا سيدي فإنني لم ألتحق بخدمتها إلا منذ شهرين .

– و هل كان سلوكها في أثناء الرحلة يبدو عاديا .؟

– بل كانت تبدو قلقة مضطربة .

– متى سمعت من سيدتك أنك ستتخلفين في "باريس" ؟

– ونحن في محطة " ليـون " ... فقد خطر لسيدتي أن تتمشى قليلا على الرصيف . ولكنها حين خرجت إلى الممشى بدت عليها الدهشة ثم رجعت إلى المقصورة وفي صحبتها أحد السادة ، ثم أغلقت الباب الذي يفصل بين مقصورتها ومقصورتي ، ولذلك لم أعد أراهما أو أسمع الحديث الذي يتبادلانه ، إلى أن فتحت الباب الفاصل بيننا فجأة وأخبرتني أنها غيرت رأيها وأمرتني بأن أغادر القطار وأن أعـود إلى فندق " ريتـز " ، وأظل هناك حتى توافيني بتعليماتها ، نغادرت القطار وهو يوشك أن يتحرك .

وعاد قاضي التحقيق يسألها :

– حينما جاءت السيدة " كيترنج " إلى مقصورتك وأخبرتك بتعديل خطتها أين كان السيد الذي صحبها ؟

– كان في المقصورة الكبيرة يتطلع من النافذة ..

– هل لك أن تدلي إلينا بأوصافه .. ؟

– الواقع يا سيدي أنني لم أكد أتبين وجهه ، فقد كان طوال الوقت يوليني ظهره .. إنه شاب طويل القامة أسود الشعر أسمر البشرة ، وكان يرتدي معطفا أزرق اللون غامقا وقبعة رمادية .

– أكان واحدا من ركاب القطار .. !

– لا أظن يا سيدي ، فقد وقع في روعي أنه جاء إلى المحطة خصيصا لمقابلة السيدة "كيترنج" في أثناء مرور القطار .

استطرد قاضي التحقيق السيد "كاريدج" :

– لقد طلبت سيدتك فيما بعد من ملاحظ القطار الا يوقظها مبكرا في صباح اليوم التالي ، فهل كان من عادتها أن تصحو في ساعة متأخرة .. ؟

– نعم يا سيدي ، فلم يكن من عادتها أبدا أن تتناول طعام الفطور ، إذ لم تكن تصحو إلا قبيل الظهيرة .

وسألها :

– كان بين متاع سيدتك علبة حمراء من جلد التمساح ، أليس كذلك ..؟ علبة جواهر ..

– هذا صحيح يا سيدي .

– هل أخذت هذه العلبة معك إلى فندق " **ريتز** " ..

– أنا آخذ علبة المجوهرات . ؟ إنني لم آخذها بالتأكيد .

– أجاءت سيدتك معها بالكثير من جواهرها .. ؟

– إن ما جاءت به لم يكن بالقدر الضئيل ، وهذا ما أثار قلقي . إن اليواقيت الحمراء تساوي نصف مليون دولار كما أخبرتني سيدتي .

فقال " **فان ألدن** " فجأة في نبرة أشبه بالزمجرة :

– اليواقيت الحمراء ..! اليواقيت ..!

وتحولت إليه الوصيفة " **آدي ميسون** " قائلة :

– أعتقد أنك أنت الذي أهديتها هذه اليواقيت يا سيدي ... ومنذ فترة وجيزة .

وهتف " **فان ألدن** " :

– يا إلهي ..! كيف أخذت هذه اليواقيت معها ...؟! لقد أوصيتها بأن تودعها البنك .

وتنحنح السيد " **كاريدج** " قاضي التحقيق ، ثم قال :

– يمكنك أن تنتظري في المقصورة المجاورة يا آنسة " **ميسون** " حتى توقعي على محضر الشهادة .

وما إن انصرفت الوصيفة حتى تناول قاضي التحقيق من حقيبته خطابا قدمه إلى السيد " **فان ألدن** " قائلا :

– لقد عثرنا على هذا الخطاب في حقيبة السيدة " **كيترنج** " وكان هذا نصه

" صديقتي العزيزة ..

سأطيعك ولن أخالف لك أمرا .. ربما كانت الإقامة في " **باريس** " تتسم بالرعونة والحماقة ، ولكن جزيرة الذهب تقع في بقعة منعزلة ، ويستحيل أن تتسرب منها أسرارنا . إنه لفضل كبير منك أن تبدي هذا الاهتمام بالكتاب الذي أؤلفه عن الجواهر الشهيرة . وإنه لما يسعدني أن سمحت لي بأن أرى هذه اليواقيت الحمراء ذات الشهرة التاريخية ، قبل أن أكتب عنها ، فقد خصصت لـ " جذوة النار " فصلا في كتابي . سوف نلتقي عاجلا وسوف أبذل جهدي حتى أعوضك عن فترة الحرمان .

المحب المخلص

" **أرماند** "

- 15 -

قرأ " **فان ألدن** " الخطاب صامتا دون أن ينبس بكلمة واحدة ، وإن كانت سحنته قد انقلبت قرمزية متضرجة احمرارا لفرط ما استبد به من غضب ، على حين كان الرجال الثلاثة يتظاهرون بأنهم منشغلون عنه .

وأعاد الخطاب إلى السيد " **كاريدج** " فسأله هذا :

– لعلك تعلم يا سيدي من يكون " **أرماند** " هذا .

فقال " **فان ألدن** " في كلمات تتثاقل على لسانه كأنها تأبى أن تزايل حلقه :

– نعم .. إنني أعرفه ... إنه مغامر أفاق يزعم أنه يدعى الكونت " **أرمـاند دي لاروش** " .

وران على الجميع صمت قصير . ثم استطرد في كلمات متمهلة :

– لقد بدأ الأمر في " **باريس** " منذ اثنتي عشرة سنة .. كانت ابنتي عندئذ صبية

يافعة ، وقد تعرفت – دون أن يبلغني الأمر – بهذا المدعو الكونت "**دي لاروش**" . ولعلكم سمعتم عنه من قبل .

فأومأ مفتش الشرطة و "**بوارو**" برأسيهما مؤمنين . وقال مفتش الشرطة :

– إنه ينتحل لنفسه لقب "**الكونت**" إلا أنك لن تجد اسمه مدرجا في دليل النبلاء . فقال "**فان ألدن**" :

– لقد بلغني ذلك . وهذا الأفاق وسيم الوجه وله عند النساء جاذبية طاغية، وقد افتتنت به ابنتي "**روث**" ، ولكنني بادرت فوضعت حدا لهذه العلاقة المشينة. فقال مفتش الشرطة :

– إنك لعلى حق يا سيدي فيما فعلت فللرجل في سجلاتنا صحائف مشينة ، ولكننا لا نملك ضده دليلا ، فهو ماكر شديد الدهاء .وعلاقاته قاصرة على نساء المجتمع الراقي ، فإذا احتال على إحداهن أو استولى على جواهرها أبت أن تشكوه حتى لا تشهر بنفسها أو تلطخ سمعتها بالوحل .

و عاد المليونير "**فان ألدن**" إلى إتمام حديثه بقوله : .

– قلت لكم إنني تدخلت في الأمر وحتمت عليها أن تقطع الصلة القائمة بينهما ، وتم هذا فعلا . وبعد عام التقت "**روث**" بزوجها الحالي ، وتم زواجهما . ولكنني علمت منذ أسبوع واحد أن ابنتي قد عادت تلتقي بذلك الأفاق ، وقد تحدثت إليها عما في تصرفها هذا من طيش وحماقة . وانتهى الأمر بأن كاشفتني بأنها غير سعيدة في زواجها فأشرت عليها بأن تطلب الطلاق .

وأبرقت عينا "**بوارو**" وقال :

– استمر في حديثك يا سيدي .

– وفي الوقت ذاته أوضحت لها ضرورة الكف عن مقابلة الكونت "**دي لاروش**" ولو على الأقل إلى أن يتم الطلاق . وأعتقد أنها أقرتني على وجهة نظري .

فتنحنح قاضي التحقيق وقال معقبا :

– ولكن هذا الخطاب الذي كتبه إليها "**الكونت**" يوحي بأن علاقتهما ظلت قائمة .

فقال "**فان ألدن**" مؤمنا :

– هذا صحيح ... هذا الخطاب يدل على أن "**روث**" كانت تنوي الذهاب إلى "**باريس**" ومقابلة "**الكونت**" هناك .

وقال "**فان ألدن**" مزمجرا :

– كيف صدقت أن هذا الأفاق "**دي لاروش**" يؤلف كتابا عن الجواهر الشهيرة. إنها ... حجة تذرع بها للاستيلاء على ياقوتة "جذوة النار" .

فقال "**بوارو**" :

– لقد ذاعت أخيرا إشاعة تقول إن مليونيرا أمريكيا هو الذي اشترى "جذوة النار" ، وقد عرفنا الآن أنك أنت هو هذا المليونير .

فعقب "**فان ألدن**" :

– لقد اشتريتها منذ عشرة أيام.

فقال "**بوارو**" مقاطعا:

– ولكنك كنت تتفاوض في شرائها منذ أكثر من شهرين.

فتساءل "**فان ألدن**" في نبرة استغراب :

– ولكن كيف انتهى إليك هذا النبأ .. ؟

– إن مثل هذه الأمور لا تخفى .

وران على الحاضرين صمت وجيز قطعه "**بوارو**" قائلا :

– والآن فلننسق ما لدينا من معلومات ... لقد عرف الكونت "**دي لاروش**" بوسيلة ما أنك اشتريت قلادة "جذوة النار" فاقنع السيدة "**كيترنغ**" بأن تأتي معها بالياقوت ، فهو إذن الرجل الذي شاهدته الوصيفة الآنسة "**ميسون**" في القطار .

وأمن الرجال الثلاثة على قوله ، واستطرد :

– وكما قررت الوصيفة تجلت الدهشة على وجه السيدة " كيترنج " عندما رأت " الكونت " . وفي الحال أمرت وصيفتها بأن تغادر القطار فورا وأن تعود إلى " باريس " ، حتى لا تتيح لها فرصة لمشاهدة " الكونت " . كما أمرتها بأن تشتري من رصيف المحطة سلة طعام لوجبة العشاء .

وتابع " بوارو " الحديث بقوله :

– وقد عرفنا من الملاحظ أنه قام في الصباح بتنسيق المقصورة الكبيرة الأصلية التي تشغلها السيدة " كيترنج " ، ولكنها أمرته أن يدع المقصورة الإضافية على حالها وألا يدخلها . والسبب في هذا أن الكونت "دي لاروش" كان مختبئا في هذه المقصورة . والآن وهما وحدهما في المقصورة فليس أهون عليه من أن يرتكب جريمته . وبعد هذا استولى " الكونت " على علبة الجواهر ، وظل قابعا في المقصورة ، فلما توقف القطار في " ليون " تسلل منه دون أن يفطن إليه أحد .

وقال مفتش الشرطة :

– لقد كانت حماقة بالغة من " الكونت " أنه لم يفتش الحقيبة بحثا عن الخطاب .

فقال قاضي التحقيق :

– لا شك في أنه اعتقد أن السيدة مزقت الخطاب بعد أن قرأته .

فقال " بوارو " في نبرة شاردة :

– إن الكونت "دي لاروش" رجل خبير بالنساء ، وبحكم هذا يعرف أن المرأة لا تمزق عادة خطاب عشيقها ، وإنما تؤثر أن تحتفظ به ، فكيف فاته هذا ..؟

– ماذا تقصد يا سيد " بوارو " .. ؟

– أقصد أن رجلا من طرازه له خبرته لا يمكن أن يفوته مثل هذا الأمر .

وقال مفتش الشرطة :

– القضية الآن لم تعد لغزا مستغلقا ، والمشكلة الوحيدة التي تواجهنا هي كيف نقيم الدليل على أنه القاتل .

فقال " بوارو " :

– إذا كان " الكونت " هو القاتل فإن ..

فقاطعه مفتش الشرطة في استنكار :

– أبعد كل هذا تقول إذا كان هو القاتل .

– نعم يا سيدي المفتش ... إذا كان ... إذا ..

– إذن فأنت ترتاب في إسناد الجريمة إليه

وبعد لحظات عاد مفتش الشرطة يقول :

– يبدو أننا تسرعنا في إسناد الجريمة إلى " الكونت " ... ما يدرينا أن "الكونت" قد يثبت أنه كان في مكان آخر ساعة وقوعها .. ؟

فقال "بوارو" :

– هذه مسألة لا أهمية لها ، فإنه إن كان هو القاتل فلا بد أنه أعد دليلا يثبت به أنه كان في مكان آخر ...

ثم أردف :

– إنني حين قلت إذا كان هو القاتل فإنما كنت أقصد شيئا آخر مختلفا .

– إذن ماذا كنت تقصد يا سيد " بوارو " .. ؟

– أقصد دراسة الطبيعة البشرية .. إن " الكونت " أفاق ونصاب .. هذا صحيح ... إنه محتال يخدع النساء ويستولي على أموالهن ... هذا صحيح. ولكن هل هو من الطراز الذي يقتل ... ؟ إنني أقول لا .. ! إنه مجرد محتال ولكنه لا يمكن أن يكون قاتلا .

فقال قاضي التحقيق :

– ما يدرينا أنه فقد السيطرة على نفسه فقتلها .

– ولِمَ يقتلها . .؟ كان من السهل عليه أن يستولي على الجواهر برضائها كما فعل عشرات المرات مع غيرها من النساء . ومع ذلك فهذا مجرد رأي .

فقال قاضي التحقيق :

– ساصدر على الفور أمرا بالبحث عنه واعتقاله فهل أنتم موافقون؟ .

فردوا جميعا بالإيجاب عدا " **بوارو** " الذي لزم الصمت غارقا في خواطره .

- 16 -

قال السيد " **بوارو** " يخاطب قاضي التحقيق :

– ما دمت قد قررت أن تصدر أمرا باعتقاله ، فدعني أهون عليك الأمر . إن الكونت "**دي لاروش**" موجود في فيلا استأجرها للإقامة فيها مؤقتا ، هي فيلا "**مارينا** " في " **أنتيب** " .

تطلعوا إليه جميعا في دهشة وتساءلوا :

– ولكن كيف عرفت هذا ؟

وكان الجواب :

– عملي يقتضيني أن أعرف .

وتحول " **بوارو** " إلى المليونير الأمريكي يسأله :

– هل أنت مقتنع يا سيد " **فان ألدن** " بأن الكونت "**دي لاروش**" هو القاتل..؟

– بالتأكيد . . إن الأمر واضح .

وقال مفتش الشرطة في كلمات متمهلة :

– هل تعرف يا سيد "**فان ألدن**" أن صهرك كان من بين ركاب القطار الأزرق؟.

فأجاب :

– بلغني هذا قبل أن أغادر " **لندن** " .

واستطرد المفتش :

– لقد أخبرني بأنه لم تكن لديه أدنى فكرة عن أن زوجته مسافرة في نفس القطار . .

فقال " **فان ألدن** " :

– إنه بالتأكيد لم يكن يعرف ، وإلا لكان الأمر بالغ الحرج والدقة لو أنه التقى بزوجته .

فسأله المفتش في استغراب :

– ماذا تعني.. ؟ ولِمَ الحرج . . ؟

– لأن " **ديريك كيترنغ** " لم يكن مسافرا وحده ، بل كانت تصحبه "**ميريل**" الراقصة الشهيرة .

وقال المفتش :

– لقد تلقى نبأ مصرع زوجته في دهشة، ولكنه يحاول أن يتظاهر بالحزن. . .

وتدخل " **بوارو** " في الحديث قائلا :

– هل يستفيد صهرك السيد " **كيترنغ** " من موت زوجته . . ؟

وأجاب " **فان ألدن** " :

– سوف يرث مليونين ، لقد أودعت في البنك مليوني جنيه باسم ابنتي ، وسيؤول هذا المبلغ إلى زوجها لأن " **روث** " لم تحرر وصية .

فقال " **بوارو** " :

– وكانا يوشكان أن يطلقا .

فتحول إليه مفتش الشرطة وقال في انفعال :

– أتعني أن زوجها هو الذي قتلها قبل وقوع الطلاق حتى لا يفلت منه المليونان. . ؟

وكان جواب " **بوارو** " :

- لا أعني شيئا على الإطلاق . إنني أحاول أن أنسق الوقائع .

ونهض " **بوارو** " واقفا وهو يقول :

- أعتقد انه لا جدوى من بقائي هنا أكثر من ذلك .

ونهض " **فان ألدن** " بدوره واقفا وهو يقول :

- إذا اذنتم لي ساصحب السيد " **بوارو** " .

وتمشى الرجلان على إفريز الشارع دقيقة أو دقيقتين وهما صامتان ، ثم قال " **فان ألدن** " فجأة :

- لقد فهمت يا سيد " **بوارو** " انك تقاعدت .

- لقد أردت أن أفسح الطريق لغيري .

- ولكنني رأيتك الآن تساعد الشرطة .

فضحك " **بوارو** " وقال :

- إنني كالطبيب الذي اعتزل العمل . . . إذا تصادف أن رأى سيارة تصدم شخصا ، فهل يقف مكتوف اليدين لانه اعتزل الطب ، أم يسعف المصاب . . ؟ لقد تصادف أن كنت في القطار الأزرق في أثناء وقوع الجريمة ، ولذلك ساهمت مع الشرطة في التحقيق .

فقال " **فان ألدن** " :

ترى هل فتشت مقصورة ابنتي . . ؟

فأومأ " **بوارو** " إيجابا :

- ألم تعثر على شيء قد ينير أمامك الطريق ؟

فأجاب " **بوارو** " :

- هذا محتمل .

فقال " **فان ألدن** " :

- إنني أعتقد أن الكونت " **دي لاروش** " هو القاتل ، ولكنني لست ساذجا ،

فقد كنت أتأمل وجهك أثناء الاجتماع ، وقرأت في أساريرك أنك غير مقتنع تماما بهذه النظرية .

فقال " **بوارو** " وهو يهز كتفيه بلا اكتراث :

- لعلي على خطأ في هذا الرأي .

فقال " **فان ألدن** " في بساطة وصراحة :

- إنني أريد منك أن تساهم في التحقيق على حسابي

- أتدرك يا سيد " **فان ألدن** " معنى هذه العبارة . . ؟ إنني عندما أشترك في إحدى القضايا فإنني أكشف الحقائق صريحة واضحة حتى لو أساءت إلى عميلي . . و حتى لو أدانته هو نفسه . .

- إنني موافق على هذا . . . إنني أريد الحقيقة .

وصمت " **بوارو** " برهة ثم قال:

- وثمة شيء آخر . . . إنني لا أقبل الاشتراك في أية قضية إلا إذا عرفت كل شيء . . . إنني لا أسمح لعميلي بأن يخفي عني أي شيء من المعلومات .

- سل ما بدا لك يا سيد " **بوارو** " .

فقال " **بوارو** " :

- مسألة الطلاق . . . هل أنت الذي نصحت ابنتك بأن تطلب الطلاق . . ؟

فأومأ " **فان ألدن** " إيجابا ، وتساءل " **بوارو** " :

- ومتى كان ذلك . . ؟

- منذ عشرة أيام فقد شكت إليّ زوجها ، فقلت لها إن الطلاق هو الحل الوحيد . وكانت شكواها منصبة على علاقته بهذه الراقصة الخطيرة " **ميريل** " .

وتساءل " **بوارو** " :

- لقد فهمت أن زواجهما لم يكن سعيدا منذ البداية . . ؟

- إن " **ديريك كيترنغ** " شاب فاسد لا يمكن أن يسعد امرأة .

– ومتى علم السيد " **ديريك** " أن زوجته قررت الطلاق ؟

– لقد استدعيته إلى مقابلتي وصارحته بما أنتوي .

– وكيف كان رد الفعل لديه .. ؟

– كان وقحا جريئا .

– وهل أشار في حديثه إلى الكونت "**دي لاروش**" .. ؟

– لم يذكر اسمه صراحة ، ولكني أدركت من تلميحاته أنه يعرف شيئا أو على الأقل يشعر بشيء .

– هل لك أن تذكر لي شيئا عن حالته المالية .. ؟

– إنه مفلس متورط في الديون إلى أقصى حد .

فقال " **بوارو** " :

– والآن سيرث بضعة ملايين .. !

– ماذا تعني .. ؟ أتريد أن تقول إنه هو القاتل .. ؟

– إني لا أعني شيئا .

وتساءل " **بوارو** " :

– الأتزال على صلة به .. ؟

فتردد " **فان ألدن** " برهة ثم أجاب :

– نعم .

ونهض " **بوارو** " واقفا وهو يقول :

– اسمح لي بالانصراف يا سيدي .

فحملق إليه " **فان ألدن** " دهشة وقال :

– ما معنى هذا يا سيدي .. ؟

– معناه أنني سأتنحى عن القضية طالما تنوي أن تكتم دوني بعض الحقائق .فقال المليونير مستسلما :

– إنك لعلى حق ... لقد بعثت إليه بسكرتيري الميجور " **كايتون** " ليعرض عليه مائة ألف جنيه إن هو رضي بألا يعترض على الطلاق ، ولكنه رفض وقال لسكرتيري أن يقول لي فلأذهب إلى الجحيم .

– لقد أخبر " **كيترنغ** " الشرطة أنه لم يتحدث إلى زوجته وهي في القطار ، فهل هذا صحيح في رأيك .. ؟

– أعتقد أنه لم يكن كاذبا لأن عشيقته الراقصة " **ميريل** " كانت في صحبته في نفس القطار ، فلا بد أنه اتخذ كل حيطة ممكنة حتى لا تراه زوجته .

– وكيف عرفت أن " **ميريل** " كانت في القطار .. ؟

– عهدت إلى مخبر خاص بتعقب خطوات زوج ابنتي فأخطرني أن "**كيترنغ**" وعشيقته سافرا بنفس القطار .

وغرق " **بوارو** " في التفكير محاولا أن ينسق المعلومات التي سمعها حتى يخرج منها ببعض النتائج .

واحترم " **فان ألدن** " استغراقه ، فلم يقطع عليه صمته بكلمة واحدة .

- 17 -

كان " **بوارو** " يتناول فطوره حين قرع جرس الباب ، ففتح خادمه " **جورج** " الباب وجاءه برسالة من مفتش الشرطة السيد " **كوكس** " يرجوه فيها الحضور لأن قاضي التحقيق سيشرع في استجواب الكونت "**دي لاروش**" . وبعد ربع الساعة كان " **بوارو** " يحيي الرجلين .

وقال السيد " **كوكس** " :

– إن القضية تبدو مخيبة للأمل ، إذ يبدو من التحقيق أن الكونت "**دي لاروش**" وصل إلى " **نيس** " في اليوم السابق لمصرع السيدة " **كيترنغ** " .

وقال السيد " **كاريدج** " قاضي التحقيق معقبا :

– يجب أن نقبل دليل النفي هذا بمنتهى الحذر فلعله قد دبره من قبل في دهاء .

ثم أمر باستدعاء الكونت " دي لاروش " .

كان شابا وسيما جريء السمات ، تتلاعب على شفتيه ابتسامة جذابة .

تساءل في بساطة :

– ترى لمَ أرسلتم في استدعائي أيها السادة .. ؟

ودعاه القاضي إلى الجلوس وقال في هدوء :

– إننا نحقق في وفاة السيدة " كيترنج " . أعتقد أنك كنت تعرفها معرفة وثيقة .. ؟

– هذا صحيح .. ولكن ما شأن هذا بمصرعها .. ؟

– لعلك لا تعرف يا سيدي " الكونت " أن السيدة " كيترنج " ماتت مقتولة ..

– مقتولة .. ! يا إلهي .. ! هذا فظيع .. !

وبانت في أساريره الدهشة والأسى العميق .

– لقد خنقت السيدة " كيترنج " في الطريق بين " باريس " و " ليون " ، وسرقت جواهرها .

واستطرد قاضي التحقيق :

– لقد وجدنا في حقيبة السيدة خطابا منك ، وبدا لنا أنها كانت قد اتفقت معك على اللقاء .

وهز " الكونت " كتفيه في غير مبالاة وقال :

– وما الداعي إلى الإنكار ؟

– أعتقد يا سيدي " الكونت " أنك قابلتها في " باريس " وسافرت معها في نفس القطار .. القطار الأزرق .

– كان هذا هو الاتفاق الأصلي ، ولكن السيدة عدلت عن رأيها ، وطلبت مني أن أقابلها في " هاييرز " .

– ألم تقابلها مساء 14 الجاري في محطة " ليون " .. ؟

– هذا غير صحيح ، فقد وصلت إلى " نيس " صباح ذلك اليوم ، فمن المستحيل أن أكون في محطة " ليون " مساء نفس اليوم .

– إنك على حق في هذا ، ولكن هل لك أن تدلي إليّ بجميع تحركاتك مساء وليلة 14 الجاري .

وتريث " الكونت " برهة مفكرا ثم أجاب :

– تعشيت في " مونت كارلو " ثم ذهبت إلى نادي " سبورتنج " وخسرت بضعة آلاف من أوراق البنكنوت ، ثم عدت إلى بيتي حوالي في منتصف الليل .

– ألم يرك أحد أثناء رجوعك .. ؟

– كلا فقد رجعت وحدي في سيارتي الصغيرة .

– الديك شاهد يؤيد أقوالك هذه .. ؟

– لاشك في أن كثيرا من الأصدقاء شاهدوني . أما خادمي فلم يرني فقد فتحت الباب بمفتاحي الخاص .

وأمر قاضي التحقيق باستدعاء الوصيفة " آدي ميسون " . وقال لها القاضي :

– أرجو يا آنسة أن تخبريني عما إذا كان هذا السيد هو الذي رأيته يدخل مقصورة سيدتك .. ؟

فتأملت الوصيفة " الكونت " برهة ثم أجابت :

– إنني غير متأكدة . لقد رأيت ظهره فحسب ، وإن كان يخيل إليّ أنه هو نفس الشخص .

– ولكنك لست متأكدة .. ؟

– كلا يا سيدي ... إنني لست متأكدة .

وأمرها القاضي بالانصراف وقد خاب أمله ، ولكن " بوارو " استوقفها وسألها :

– ما الذي حدث لتذاكر القطار من " لندن " إلى " نيس " .. ؟ أهي معك أم مع

سيدتك .. ؟

– كانت تذكرة " **البولمان** " مع السيدة ، أما باقي التذاكر فكانت في عهدتي ، وقد أعطيتها لملاحظ القطار الفرنسي لانه اخبرني ان العرف جرى بهذا .

ودون " **بوارو** " كلمة على رقعة من الورق وناولها إلى السيد " **كاريدج** " ، وأذن للوصيفة بالانصراف .

وبعد أن انصرف " **الكونت** " قال القاضي للسيد " **بوارو** " :

– إنك كنت على حق يا سيدي فيما ذكرته في رقعتك إليّ ... نعم .. يجب ان نشعره أنه ليس محلا للاشتباه على الإطلاق . ولكن اثنين من المخبرين سوف يتعقبان خطاه ليلا ونهارا .

ولم تمض دقائق حتى كان " **ديريك كيترنغ** " يواجه رجال التحقيق .

وقال متسائلا :

– هل اهتديتم إلى جديد ؟

فاجابه القاضي :

– لم نهتد إلى جديد بعد، ولكننا أردنا ان نستفسر منك عن أشياء... هل انت واثق بانك لم تتحدث إلى زوجتك ولم تلمحها وهي في القطار الأزرق ..؟

– سبق أن قلت إنني لم أرها .

– لا شك في أن لديك سببا وجيها للإنكار

فحملق إليه " **ديريك** " في حيرة وقال في بطء وتمهل وكلمات متقطعة :

– إنني لم أكن أعرف أنها في القطار الأزرق .

– هذا هو ما تقرره أنت يا سيد "**ديريك**" !

– ما الذي تعنيه بهذه التلميحات يا سيدي .. ؟

ونجاة ساله " **بوارو** " :

– لقد فهمت أن السيدة "**كيترنغ**" لم تحرر وصية بعد .

فاجاب :

– لا أعتقد أنها كتبت وصيتها .

– إذن فقد هبطت عليك فجاة من السماء ثروة كبيرة .. ؟

وعلى الرغم من أن " **بوارو** " كان متشاغلا بالتطلع إلى السقف ، إلا أنه لم تفته الحمرة التي تضرج بها وجه " **ديريك** " .

– إلام تقصد بهذا يا سيدي .. ؟ ولكن من انت أولا يا سيدي ، فإن احدا لم يقدمك إليّ .. ؟

ونظر "**بوارو**" إلى وجه الشاب متأملا واجاب :

– إنني أدعى " **هيركيول بوارو** " ، وأعتقد أنني أعظم مخبر سري في العالم، وشهرتي طبقت جميع الآفاق .

ثم أردف على الفور :

– أموقن أنت من أنك لم تر زوجتك او تتحدث إليها وهي في القطار .. ؟

– ما الذي تهدف إليه بهذا السؤال يا سيدي .. ؟ اتراك تعني أنني انا الذي قتلتها .. ؟ لو انني كنت القاتل لما سرقت جواهرها .

وعاد " **بوارو** " يتأمل وجه الفتى في اهتمام وقال:

– سؤال آخر يا سيد " **كيترنغ** " ... أيمكن أن تذكر لي تاريخ آخر مرة قابلت فيها زوجتك .. ؟

فقال مفكرا :

– أعتقد أنني رأيتها منذ أكثر من ثلاثة أسابيع .

وأذنوا لـ "**ديريك كيترنغ** " بالانصراف ، فغادر الغرفة وهو يصفق الباب وراءه بعنف .

وقال " **بوارو** " يسأل زملاءه المحققين :

– متى تحدثتم مع السيد " **كيترنغ** " عن هذه الجواهر لأول مرة ؟

فأجاب مفتش الشرطة السيد " كوكس " :

– إنني لم أحدثه عنها مطلقا ، إذ إنني لم أعرف بأمرها من السيد " **فان ألدن** " إلا بعد ظهر الأمس .

– ولكن الكونت " **دي لاروش** " سبق أن أشار إليها في خطابه .

فقال السيد " **كاريدج** " قاضي التحقيق :

– ولكنني لم أتحدث مع السيد " **كيترغ** " عن هذا الخطاب إذ لم يكن من اللائق أن أخبره أن لزوجته علاقة برجل آخر

فقال " **بوارو** " بصوت غريب النبرات :

– إذن فكيف عرف " **كيترغ** " بأمر الجوهرات .. ؟ زوجته لم تحدثه عنها لأنهما لم يلتقيا ، والسيد " **فان ألدن** " وسكرتيره لم يذكرا له شيئا عنها ، ومع ذلك فهو يعرف كل شيء عن هذه الجواهر .

- 18 -

ذهب " **ديريك كيترغ** " من فوره إلى مشرب " **تجرسكو** " وطلب قدحا من الكوكتيل ومضى يدير عينيه في أرجاء المقهى يتأمل وجوه الناس شاردا .

وفجأة لمح عشيقته الراقصة الشهيرة " **ميريل** " . ولمحته الفتاة في نفس اللحظة ، فمضت إليه ، واتخذت مقعدها إزاءه وهي تقول :

– لا شك في أنه قد أسعدك أن نلتقي هكذا صدفة .

فقال لها في اقتضاب :

– مرحبا بك في " **باريس** " ، ولكن متى غادرت " **لندن** " ؟

– منذ يوم أو يومين .

– ولكن ماذا فعلت مع " **البارثينون** " .. ؟ إنك ترقصين هناك كل ليلة .

– لقد أوليتهم ظهري فما عدت في حاجة إليهم .

وأشعلت سيجارة ، نفثت منها عدة أنفاس ثم قالت :

– أتراني تعجلت الأمور .. ؟ أترى أنه كان يجب أن أتريث قليلا .

وهز " **كيترغ** " كتفيه بلا اكتراث ولم يجب .

وقالت الراقصة :

– إنك لم تحاول أن تتصل بي منذ أن خرجت غاضبا من مسكني في " **لندن** " . . . ولكن هذا قد انتهى الآن .. إنني لم أعد ناقمة عليك .

فقال لها " **ديريك** " :

– اسمعي يا فتاتي . لقد حدثتك ونحن في " **لندن** " عن إفلاسي ، واتفقنا على أن من حق " الفيران " أن تغادر السفينة الغارقة .

و مالت " **ميريل** " نحوه فجأة وقالت :

– إنك لا تستطيع أن تخدعني .. إنني أعرف ما فعلت ، من أجلي .

فتطلع إليها في دهشة محملقا فقالت له :

– لا تخف .. ! إني كتومة للسر ... وما كنت أحسبك شجاعا إلى هذا الحد . ومهما يكن فأنا التي أوحيت إليك بالفكرة عندما قلت لك إن بعض الحوادث قد تقع فجأة للزوجة فيرث زوجها أموالها دون أن يرتاب فيه أحد ... وأنت الآن في أمان ولست مستهدفا لأي خطر .. إن البوليس لم يشتبه فيك بالتأكيد .. ؟

فصرخ فيها " **كيترغ** " :

– يا إلهي .. ! ما هذا الذي تقولين ؟!

ورفعت إصبعها تحذره ، وهمست :

– أصبت . ! هذه الأمور لا يجوز التحدث عنها ولو تلميحا .. إن للجدران آذانا .. ! ولكن حسبنا أن نعرف أن متاعبنا المالية قد انتهت ، وسنعيش معا سعداء نتقلب في أحضان الملايين .

وأطلق " **ديريك** " ضحكة مرحة ساخرة وقال :

– إذن فقد رجعت " الجرذان " إلى السفينة الغارقة .. ؟ إن مليونين من الجنيهات كفيلة بان تحدث فرقا جسيما .. ! اسمعي يا " ميريل " ... لقد انتهى ما بيننا .

– الا تعلم انني احبك ... ؟ إنك لا تستطيع ان تعيش بدوني وساجعلك اسعد إنسان في الوجود .

فقال في إصرار :

– قلت لك إن ما بيننا قد انتهى .. لقد خطبت إحدى الفتيات .

– إذن فلن نتناول الغداء معا ؟

– بل سأتناوله مع خطيبتي .. ها هي ذي قادمة .

وهب واقفا ، واتجه إلى فتاة ترتقي الدرج وخلف " ميـريل " تحملق في ذهول وقال للفتاة :

– الآنسة " جراي " ... هل تسمحين لي بان أدعوك إلى الغداء . ؟ إنك تذكرين أننا التقينا عند الليدي "تامبلين" .

وتطلعت إليه " كاترين " برهة ثم قالت باسمة :

– إنه ليسعدني حقا ان ألبي دعوتك .

- 19 -

حمل الخادم صينية القهوة وزجاجة الشراب إلى سيده الكونت "دي لاروش" بعد ان تناول فطوره .

وتطلع " الكونت " إلى وصيفه " هيبوليت " وقال :

– من المحتمل أن يطرق البيت بعض الغرباء ، وسيحاولون أن يتوددوا إليك و إلى "ماري " ، وأن يوجهوا إليكم بعض الأسئلة المتعلقة بشؤوني .

– وبم تامر يا سيدي " الكونت " .. ؟

– إنني أريد فقط ان أذكرك ببعض ما حدث خلال الأيام الماضية ... إنك تعرف

بالتأكيد أنني وصلت هنا صباح الثلاثاء الماضي ، فإذا سألك أحد من رجال الشرطة سواء أكانوا في الزي المدني أم في زيهم الرسمي ، فأرجو الا تنسى هذه الواقعة ، إنني وصلت إلى " نيس " صباح الثلاثاء الماضي الموافق 14من الشهر الجاري ... الثلاثاء وليس الأربعاء 15 من الشهر الجاري .

– إنني فاهم تماما يا سيدي " الكونت " .

– إنك تعلم بالتأكيد أنه في المسائل المتصلة بإحدى السيدات يضطر المرء إلى الكذب .

– تماما يا سيدي ... هذا تصرف يقضي به النبل .

– وزوجتك "ماري" .. ماارأيها .. ؟

– إنها تنفذ ما أطلبه منها .

فغمغم " الكونت " :

– إذن فلن تنفضح هذه السيدة .

وصرف الكونت "دي لاروش" خادمه ، ولكن الخادم ما لبث أن رجع إليه يخطره بأن سيدة تطلب مقابلته .

وقالت الزائرة :

– إنني أدعى " ميريل " ، ولعلك سمعت باسمي من قبل

– بالتأكيد .. بالتأكيد .. إذا كنت أنت الآنسة " ميـريل " الراقصة .. لقد فتنتني رقصاتك وسحرتني .

وابتسمت الراقصة وقالت في رقة :

– ولكني أقحمت نفسي على بيتك دون سابق معرفة .

– هذا شرف عظيم لي يا آنسة .

– لقد سمعت الجميع في " نيس " يرددون أن الكونت "دي لاروش" هو الذي قتل السيدة " كيترنج " في القطار الأزرق .

فهتف " الكونت " :

– أنا ؟ ما أسخف هذا الادعاء ..!

فاستطردت " ميريل " :

– ولكن الناس يؤكدون العكس .

– إنك تعلمين بالتأكيد مدى ولع الناس بالأقاويل .

فقالت باسمة :

– إن رجال الشرطة هم الذين يوجهون إليك هذا الاتهام ، إنه مدير الشرطة نفسه . ولكنني أعلم أنهم مخطئون .

فقال " الكونت " في مجاملة ورقة :

– ولكنك على حق يا آنسة ... إنني لم أقتل السيدة " كيترغ " .

– إنني أصدقك كما أنني أعرف القاتل .

فتساءل " الكونت " في حدة :

– و من يكون القاتل .. ؟

– زوجها ... إنه هو الذي قتلها .

– وكيف عرفت هذا يا آنسة .. ؟

واطلقت " ميريل " ضحكة مرحة وقالت :

– إنه هو الذي صارحني بما كان ينوي قبل أن يقدم على جريمته .. كان مفلسا وغارقا في الديون ، وقال لي إن موت زوجته هو الكفيل بإنقاذه ... ولقد سافر في نفس القطار .. القطار الأزرق دون أن يخطرها بسفره . وفي الليل تسلل إلى مقصورتها وقتلها ...

– ولكنه لم يسرق المجوهرات مادام سيرثها ..؟

ثم سألها :

– وماذا تريدين مني يا آنسة .. ؟

– أريد منك أن تخطر الشرطة بالأمر .

– وإذا طلبوا مني الدليل فكيف أقدمه إليهم .. ؟

فضحكت " ميريل " في سخرية وقالت :

– في هذه الحالة ما عليك إلا أن تبعث بهم إليّ ... لأزودهم بالدليل الذي إليه يفتقرون .

ثم نهضت واقفة وحيت " الكونت " ، وانصرفت متعجلة وقال " الكونت " يخاطب نفسه : " إنها ثائرة مشبوبة الغضب ، فما الذي حدث حتى أهاج غضبها.. ؟ ولمَ لا تذهب بنفسها إلى البوليس وتقنعه بدلا من إقناعي أنا..؟"

ثم عاد يفكر في أمر نفسه ..إذن فالشرطة تعتقد أنه القاتل .. ! حسنا... في هذه الحالة يجب ان يتخذ بعض الاحتياطات .

وصعد " الكونت " إلى مخدعه ، ومضى إلى مكتب قائم في ركن الغرفة ، وأخرج أحد الأدراج ، وضغط على زر خفي في أقصى فجوة الدرج ، فانكشفت عن درج صغير سري ، فتناول منه لفافة رمادية صغيرة الحجم ، ثم رفع يده إلى أعلى ونزع شعرة من رأسه ، ووضعها على حافة الدرج وأعاده مكانه ، وأغلقه كما كان . ثم دس اللفافة الرمادية في جيبه . ونزل إلى الخارج . واستقل سيارته الصغيرة ، ومضى إلى كازينو " مونت كارلو " فامضى فيه ساعتين ، ثم خرج يجوب طرقات المدينة منطلقا إلى طريق "منتون" .

وللمرة الثانية لاحظ سيارة صغيرة رمادية تسير في أعقابه حيث يذهب . وكان الطريق منحدرا صاعدا إلى أعلى ، فما إن ارتقاه قليلا حتى ضغط البنزين بشدة ، فانطلقت سيارته مسرعة إلى أعلى ، في حين أصبحت السيارة الرمادية عاجزة عن اللحاق به وبذلك نجا من مطاردة رجال الشرطة.

وتوقف " الكونت " فجاة امام أحد مكاتب البريد ، وقفز من السيارة تاركا المحرك دائرا ، وأخرج اللفافة الرمادية من جيبه ودخل بها إلى مكتب البريد ثم غادره

بدونها ، وارتد إلى سيارته مسرعا ، وبعد دقيقتين كانت سيارة الشرطة قد أتمت صعود الطريق فرأت سيارة "**الكونت**" الحمراء أمام إحدى المشارب ، وهو جالس إلى إحدى الموائد يحتسي قدحا من القهوة .

ورجع " **الكونت** " ثانية إلى " **مونت كارلو** " ، واشترك ساعة في لعب القمار، ثم عاد إلى الفيلاً ، فتلقاه خادمه بقوله إن أحدهم اتصل به تليفونيا ، ودعاه إلى مقابلة سيده " **الكونت** " في مطعم " **نجرسكو** " في الساعة الثالثة، فذهب على الفور وانتظر سيده طويلا ، فلما لم يحضر رجع إلى البيت .

وسأله " **الكونت** " :

– وبالتأكيد في أثناء غيابك عن الفيلاً كانت زوجتك في السوق كعادتها . وكان البيت خاليا .

وصعد " **الكونت** " مسرعا إلى مخدعه ، وفتح الدولاب وتأمل الدرج السري فلم يجد الشعرة التي ثبتها فوق حافة الدرج ، فعرف أن الشرطة هي التي دبرت هذه الخدعة لإبعاد خادمه عن البيت حتى يتسنى لهم تفتيشه . وإن كان كل شيء قد أعيد إلى مكانه .

- 20 -

في صباح اليوم التالي كانت " **كاترين** " و " **لينوكس** " جالستين في شرفة الفيلاً تتسامران وتتبادلان الحديث .

وكانت جريمة القطار الأزرق هي الشغل الشاغل لأهل البيت – عدا "**لينوكس**" – فالزوج " **تشوبي** " لا يقدم " **كاترين** " لضيوفه إلا بقوله : هذه هي "**كاترين**" التي حضرت جريمة القطار الأزرق .. تصوروا أنها تحدثت إلى القتيلة قبل مصرعها بساعات .

أما الزوجة الليدي "**تامبلين**" فكانت تحاور وتداور محاولة أن تستدرج "**كاترين**"

إلى الإفضاء بما لديها من معلومات ، حتى تسارع إلى الصحف فتبيعها هذه الأخبار بأجر ضخم .

وفي ذلك الصباح كانت " **لينوكس** " تقول لضيفتها :

– لقد سرني منك بالأمس أنك أبيت أن تتكلمي .

فأجابت " **كاترين** " في شيء من الخجل :

– على خلاف عادتي انفجرت غاضبة .

– لا عليك من هذا ، إن " **تشوبي** " غبي أحمق ، وقد تزوج أمي رغم فارق السن طمعا في مالها ، أما أمي فلا همَّ لها إلا استغلال الناس بوسيلة ما حتى تجني من ورائهم مالاً وفيرا .

وبعد سكتة قصيرة أردفت تقول :

– إذن فقد تناولت الغداء بالأمس مع " **ديريك** " .. هل تميلين إليه يا "**كاترين**" ..؟

– لا أدري .. ولكنه على أية حال شاب لطيف .

وقالت " **لينوكس** " :

– اسمعي يا " **كاترين** " إن " **ديريك كيترنج** " يميل إليك . لقد فطنت إلى ذلك أول ليلة حضر فيها إلى بيتنا هذا ولكنه ليس من طرازك .

وجاءت الوصيفة تدعو " **كاترين** " إلى التليفون لمحادثة " **هيركيول بوارو** " .

وحين تحدثت إليه أنبأها بأن السيد " **فان ألدن** " – والد السيدة " **كيترنج** " – يرغب في مقابلتها .

وأجابت "**كاترين**" :

– لا داعي لأن أجشمه مشقة الحضور إلى الفيلاً ، سأقابله في فندقه في "**نيس**" .

– حسنا .. سأحضر إليك إذن بعد ثلاثة أرباع الساعة

وفي الموعد المحدد كان " **بوارو** " أمام باب الفيلاً ، فمضيا معا في السيارة إلى

"**نيس**" .

وسألته "**كاترين**" :

– وما رأي الشرطة .. ؟

– إنهم يعتقدون أن الكونت "**دي لاروش**" هو القاتل . أما أنا فلعل لي رأيا آخر .

واستطرد :

– هل قابلت السيد "**ديريك كيترغ**" .. ؟

فأجابت :

– لقد التقيت به في فيلا الليدي "**تامبلين**" وتغديت معه بالأمس .

فغمز "**بوارو**" بعينه وقال ضاحكا :

– إنه من الطراز الذي يجذب النساء . إنك لمحته في القطار الأزرق .. ؟

فأجابت :

– نعم .. لقد رأيته .

– في عربة الطعام .. ؟

– كلا ، رأيته داخلا إلى مقصورة زوجته .

فكر "**بوارو**" برهة ثم قال :

– اعتقد أنك ذكرت لي يا آنسة أنك كنت مستيقظة ، وأنك كنت تتطلعين من النافذة إلى محطة "**ليـون**" ، فهل رأيت يا ترى شابا يغادر القطار طويل القامة أسود الشعر شبيها بـ الكونت "**دي لاروش**" .. ؟

هزت "**كاترين**" رأسها سلبا وأجابت :

– كلا .. لم أر أحدا في قوام "**الكونت**" ينزل من القطار ، وإنما الذي رأيته كان شابا ضئيل الجسم ، يضع على رأسه قبعة ويرتدي معطفا ، وقد جعل يتمشى على رصيف المحطة . كما رأيت رجلا فرنسيا سمين البدن مرتديا معطفه فوق البيجاما ، وقد نزل من القطار ليشتري قدحا من القهوة ..

ومضيا مباشرة إلى بيت السيد "**فان ألدن**" حيث كان سكرتيره "**كايتون**" في استقبالهما وبعد لحظات أقبل "**فان ألدن**" ، فبسط يديه إلى "**كاترين**" مرحبا ، وشكرها على تجشمها مشقة الحضور ، وقال مستطردا :

– كنت في لهفة إلى مقابلتك لتقصي عليّ كل ما عرفت . والآن أرجوك ألا تكتمي دوني شيئا .

وانسحب "**بوارو**" والسكرتير "**كايتون**" إلى الغرفة المجاورة ومضت "**كاترين**" تقص على المليونير كل ما دار من حديث بينها وبين "**روث**" في القطار الأزرق .

وشكرها "**فان ألدن**" بحرارة ، وران عليهما الصمت برهة . وفجأة قال المليونير في رنة حزينة :

– أريد أن أوجه إليك سؤالا .. لا شك في أن السيد "**بوارو**" حدثك عن ذلك الأفاق الذي تورطت ابنتي في حبه .. أعني الكونت "**دي لاروش**" ولا شك في أنه الرجل الذي كانت ذاهبة للقائه ، فهل تعتقدين أنها عدلت عن مقابلته بعد حديثك معها .. ؟ .

فأجابت :

– لست على يقين من الرد .. كل ما أعرفه أنها اتخذت قرارا ، وبدت أكثر انشراحا وهدأت بالا . أما فحوى هذا القرار فلا أعرفه .

– ألم تخبرك أين كانت تنوي مقابلة هذا المغامر . في "**باريس**" أم في "**هايرز**" ؟

نعم ... إنها لم تشر إلى هذه النقطة إطلاقا .

فغمغم "**فان ألدن**" سارحا بذهنه :

– آه .. هذه هي النقطة المهمة .. ومع ذلك سوف تكشفها الأيام .

ثم مضى ودعا سكرتيره "**كـايتـون**" ، وطلب إلى سكرتيره أن يمضي بها إلى السيارة وحين عاد وجد "**بوارو**" و "**فان ألدن**" غارقين في حديث عميق .

وقال المليونير :

– لو أننا عرفنا القرار الذي اتخذته " **روث** " بعد حديثها مع " **كـاترين** " لتكشفت أمامنا أمور كثيرة .. إن كل ما نحن على يقين منه هو ما ذكرته الوصيفة من أنهما – كلتيهما – فوجئتا عندما لمحتا " **الكونت** " في القطار ، فتصرفها هذا دليل على أن لقاءهما في القطار لم يكن متفقا عليه بينهما ..!

ثم تحول إلى سكرتيره قائلا :

– ترى هل تقرني على رأيي هذا يا " **كايتون** " .. ؟

فأجفل السكرتير وأجاب :

– عفوا يا سيدي .. إنني لم أكن مصغيا إلى الحديث .

فقال " **فان ألدن** " ضاحكا :

– يبدو أنك من الفئة التي تحلم نهارا .

وتضرج وجه " **كايتون** " احمرارا .

واستطرد " **فان ألدن** " :

– إن الآنسة " **جراي** " فتاة ظريفة .. ترى هل لاحظت عينيها يا " **كايتون** " ..؟

فأجاب :

– أي رجل ولو كان ضريرا أعمى لابد أن يلاحظ ما لعينيها الرماديتين من جمال خلاب .

- 21 -

كان من عادة " **كاترين** " أن تتمشى قليلا كل صباح ، وحين رجعت من إحدى نزهاتها الصباحية تلقتها " **لينوكس** " بابتسامة ماكرة عابثة وهي تقول :

– لقد اتصل صديقك العزيز تليفونيا عدة مرات .

– ومن يكون صديقي العزيز هذا .. ؟

– صديق جديد .. سكرتير السيد " **رافيوس فان ألدن** "

– يبدو أنك أصبحت محطمة القلوب .. فلدينا أولا " **دريك كيترنغ** " ، والآن لدينا " **كايتون** " .. ! ومن الغريب أنني أذكره تماما ، ففي خلال الحرب كان في المستشفى التي كانت أمي تشرف عليها وكنت إذ ذاك لا أعدو التاسعة .

– أكان جريحا .. ؟

– كان مصابا برصاصة في ساقه ، وحين غادر المستشفى كان يعرج عرجا خفيفا .

وجاءت الليدي " **تامبلين** " في هذه اللحظة فقالت لابنتها :

– هل أخبرت " **كـاترين** " أن الميجور " **كايتون** " سأل عنها مرارا .. ؟ إني لا أزال أذكره مع أنه مضت سنوات منذ كان في المستشفى مصابا برصاصة في ساقه .

فقالت " **كاترين** " :

– ألم يذكر ما يريده مني .. ؟

– لقد سأل عما إذا كنت تحبين أن تشاركيه لعب التنس بعد ظهر اليوم .. ؟

وقالت " **لينوكس** " :

– ولقد قبلنا الدعوة نيابة عنك ، ولذلك سيمر عليك بعد الظهر ليصحبك إلى النادي .

وانبرت الليدي " **تامبلين** " تقول :

– أرجو أن أقابل المليونير " **فان ألدن** " عن طريقك يا " **كاترين** " ، فإنك تعلمين ولعي بالتعرف إلى العظماء .

وجـاء " **كايتون** " بعد الغداء ، وصحبته " **كـاترين** " في سيارته . وقال لها " **كايتون** " :

– إن الليدي " **تامبلين** " لم تتغير إلا قليلا .

– وفي أي شيء تغيرت : سلوكها أم مظهرها .. ؟

– كلاهما .. أعتقد أنها تجاوزت الأربعين ولكنها لا تزال نضرة جميلة .

– أصبت .. إنها لاتزال محتفظة بجمالها .

واسترسل " **كايتون** " :

– يسرني انك حضرت ، فسوف يكون السيد " **بـوارو** " موجودا أيضا في النادي .. ترى هل تعرفينه منذ زمن طويل يا آنسة " **جراي** " .. ؟

فأجابت :

– إنني لم أقابله إلا في القطار الأزرق ..

فقال " **كايتون** " :

– إنه رجل عجيب ، وقدير في مهنته . إنني أذكر انني عندما كنت في بيت الليدي " **كلانرافون** " وسرقت جواهرها ، وعجزت الشرطة عن اكتشاف السارق ، طلبت منهم أن يستعينوا بـ " **هيركيول بوارو** " ، ولكنهم رفضوا واستعانوا بـ " **اسكتلانديارد** " ، ففشلت في استرداد الجواهر .

واستطرد " **كايتون** " :

– لقد قام الكونت " **دي لاروش** " بعدد من أعمال الاحتيال ، وعجز البوليس عن توجيه الاتهام إليه أما اليوم فهو يواجه في " **بوارو** " ندا خطيرا .

فقالت " **كاترين** " :

– هذا إلا إذا كان حادث القطار الأزرق مجرد سرقة عادية ، خاصة وأن لدى " **الكونت** " دليل نفي لا يدحض .

فضحك " **كايتون** " قائلا :

– إن تدبير أدلة النفي أمر هين ومهما يكن فإنني لا أتمنى أبدا أن يكون " **بوارو** " في أعقابي حين يخطر لي أن ارتكب جريمة .

واغرق الاثنان في الضحك وقالت " **كاترين** " :

– صدقت فإنه ذكي داهية .

وكان " **بوارو** " هو الذي استقبلهما في النادي ، فسأله " **كايتون** " :

– ولكن أين السيد " **فان ألدن** " .. ؟

– سوف تمضي إليه بعد قليل ، إنه جالس هناك في أقصى الحديقة (وأومأ إليه) .. آه .. هذا هو السيد " **كيترنج** " قادم علينا .

واقبل عليهم " **كيترنج** " ، وكان بادي الغضب والانفعال ، وكانت تحيته الموجهة إلى " **كاترين** " فاترة جافة ، وجلسوا يشاهدون الذين يلعبون التنس، وحاول " **بوارو** " بحديثه الطلي أن يبدد هذا الجو القاتم . وقال :

– من العجيب يا سيد " **كيترنج** " أنها تتكلم الفرنسية بلباقة وبلكنة سليمة ، وليس هذا شأن الرجل الإنجليزي .

فقالت " **كاترين** " :

– تمنيت لو أني أجيد الفرنسية .

ولمح " **كايتون** " مخدومه يومئ إليه فانسحب معتذرا ، ومضى إلى حيث كان السيد " **فان ألدن** " جالسا .

قال " **بوارو** " وهو يتابع السكرتير ببصره :

– إنني معجب بهذا الشاب ، فما رأيك فيه يا آنسة " **جراي** " .. ؟

فقالت في بساطة :

– إنني أميل إليه كثيرا .

– وأنت يا سيد " **كيترنج** " .. ؟

وهمّ " **ديريك** " بأن يقول شيئا ولكنه أمسك في اللحظة المناسبة ، ثم عاد يقول في تؤدة :

– إن " **كايتون** " شاب نشط يجيد عمله .

وقالت " **كاترين** " :

– إنه شديد الإعجاب بك يا سيد " **بوارو** " .

وروت له بعض ما حدثها به " **كايتون** " عن " **بوارو** " . وعن سرقة جواهر الليدي " **كلانرافون** " ، وكيف فشلت الشرطة في استردادها .

وقال " **بوارو** " فجأة :

– آه .. لقد ذكرت الآن شيئا غاب عني . عندما كنت جالسة مع هذه السيدة المسكينة في القطار لا بد أنه وقعت منك علبة سجائر من الجلد ، ولم تنتبهي للأمر.

وتناول " **بوارو** " من جيبه علبة سجائر من الجلد الأزرق ، مثبت في ركن منها حرف " ك " مصنوع من الذهب .

وهزت " **كاترين** " رأسها سلبا وأجابت :

– كلا .. إنها ليست علبتي .

فقال " **بوارو** " :

– لا بد أنها إذن علبة السيدة " **كيترغ** " ، فالحرف " ك " هو الحرف الأول من اسمك واسمها ، ولذلك حسبتها علبتك، لأننا وجدنا في حقيبتها علبة أخرى، وليس من المألوف أن يحمل المرء علبتين .

ثم تحول إلى " **ديريك كيترغ** " فجأة وسأله :

– أتراك تعرف أن هذه علبة زوجتك ؟

ففكر " **ديريك** " برهة ثم أجاب :

– لا أدري .. أعتقد أنها علبتها .

– ولكنها ليست علبتك بكل تأكيد .

– كلا .. مطلقا .. لو أنها كانت علبتي لما وجدتموها في مقصورة زوجتي.

– لقد خطر لي أنها ربما وقعت منك عندما دخلت مقصورتها .

فأجاب " **ديريك** " في غير تردد :

– ولكني لم أدخل مقصورتهاأبدا . . . وقد سبق أن كررت هذا على الشرطة .

فقال " **بوارو** " :

– آسف جدا ، ولكن هذه الآنسة قررت أنها رأتك تدخل مقصورة زوجتك.

وتطلعت " **كاترين** " إلى " **ديريك** " ، وكان وجهه قد انقلب شاحبا مصفرا . ولكنه ما لبث أن قال بعد لحظات :

– لا شك في أنك أخطأت يا آنسة " **جراي** " .. لقد عرفت من التحقيق أن مقصورتي كانت هي المجاورة لمقصورة زوجتي أو التي بعدها مباشرة ، فلا شك في أن الأمر التبس عليك فحسبتني أدخل مقصورة زوجتي في حين أنني إنما كنت داخلا إلى مقصورتي .

وفي هذه اللحظة كان السيد " **فان ألدن** " وسكرتيره. مقبلين عليهم ، فنهض " **ديريك** " مسرعا وهو يقول :

– يجب أن أنسحب لأنني لا أريد أن أقابله .

وحيا " **فان ألدن** " الفتاة بحرارة ، وقال لـ " **بوارو** " :

– يبدو أنك مغرم بمشاهدة التنس يا سيد " **بوارو** "

تطلع " **بوارو** " إلى " **كاترين** " و " **كايتون** " فوجدهما غارقين في الحديث، فقال في صوت منخفض :

– إنني لم أحضر إلى النادي لمجرد المتعة .. انظر إلى هذا الرجل العجوز الملتحي الطويل القامة .. إنه السيد " **بابولوس** " ، وهو يوناني الجنسية .

واستطرد " **بوارو** " :

– إنه يتاجر في التحف ، وله شهرة عالمية ولكن رجال الشرطة يرتابون في أمره ، ويعرفون أنه يتاجر خفية في أشياء أخرى .

واسترسل " **بوارو** " :

– إنه يتاجر في الجواهر النادرة المسروقة ، ولا يبيعها إلا لأصحاب الملايين . ولبث " **فان ألدن** " صامتا ، على حين استطرد " **بوارو** " وهو ينظر في عيني المليونير :

– إنني أسائل نفسي : ما الذي جاء بالسيد " **بابولوس** " إلى " **نيس** " فجأة..؟ نعم .. ما السبب .. ؟

وارتسمت في أسارير " **فان ألدن** " مسحة من الحيرة وقال :

– يجب ان أعتذر إليك يا سيد " **بوارو** " .

فلّوح " **بوارو** " بيده قائلا في بساطة :

– دعك من الاعتذار ، والآن أرجو ان تستمع إليّ .. لقد وضع الكونت "**دي لاروش** " تحت المراقبة ، كما فتش البوليس بيته أثناء غيابه .

– وهل عثروا على شيء يفيد التحقيق .. ؟

– كلا .. كان بيته خاليا من أي شيء يدينه ، وقد تعقبه البوليس بعد انتهاء الاستجواب إلى " **مونت كارلو** " ، ومن هناك سلك طريق " **منتون** " ، وكان محرك سيارته قويا ، فاختفى عن سيارة الشرطة التي تتعقبه .

فقال " **فان ألدن** " متسائلا :

– وانت هل تعتقد انه استطاع خلال هذه الدقائق ان يخفي شيئا عن الشرطة ..؟

– تماما ولذلك اشرت على قاضي التحقيق ان يتحرى في مكتب البريد القائم على طريق " **منتون** " . وفعلاتبين انه أوقف سيارته أمام مكتب البريد في طريق "**منتون** " خلال الدقائق التي تغيب فيها عن أنظار رجال الشرطة، وأودع فيه هذه اللفافة .

وتناول " **بوارو** " من جيبه لفافة صغيرة رمادية اللون واستطرد :

– دخل إلى مكتب البريد وبعث بهذا الطرد .

وتساءل " **فان ألدن** " :

ولكن إلى من بعث به .. ؟

– لقد عنونه باسم نفسه على ان يحفظه بشباك البريد في أحد أحياء "**باريس**" وهكذا يظل الطرد في مكتب البريد إلى ان يحضر صاحبه ويطلبه .

فغمغم " **فان ألدن** " :

– ولكن اي شيء في هذه اللفافة ..

وفض " **بوارو** " اللفافة ، فإذا بها تتكشف عن علبة صغيرة من الورق المقوى . ودار " **بوارو** " ببصره فيما حواليه وأيقن ان الجميع منهمكون في مراقبة مباريات التنس فازاح غطاء العلبة قليلا ثم رده مكانه .

وهتف المليونير مذهولا :

يا إلهي .. ! اليواقيت

ثم أردف بعد لحظات في تقدير وإعجاب :

– الحق انك نابغة يا سيد " **بوارو** " .. !

فاجاب :

– بل الأمر مجرد ترتيب منطقي .

وتساءل " **فان ألدن** " :

– وقبضتم بالتأكيد على " **الكونت** " ؟

– كلا .. إن لديه دليل نفي لا يرقى إليه الشك .

– وهذه اللفافة .. ؟ والعنوان المسطور بخطه .. ؟

فاجاب " **بوارو** " في اقتضاب :

– إن دليل النفي الذي أدلى به لا يزال قويا صامدا

– ولكن كيف هذا .. ؟ أبعد كل هذا يمكن ان ...

فقاطعه " **بوارو** " في رقة ولطف :

– سنتحدث عن هذا فيما بعد .. ولكن أرجو ان تكتم ما سمعت مني الآن عن الناس جميعا .

- 22 -

كان السيد " **بابولوس** " تاجر التحف الشهير جالسا يتناول فطوره ، وابنته "**زيلا**" تشاطره مائدته حين دخل عليه أحد الخدم ببطاقة " **هيركيول بوارو**" .

تطلع " **بابولوس** " إلى البطاقة وغمغم :

– " **هيركيول بوارو** " .. ؟ ترى ما الذي يبغيه مني .. ؟

وتبادل الأب وابنته نظرات استغراب .

واستطرد الأب :

– لقد لمحته بالأمس في النادي يتفرج على التنس .

– هذا صحيح فهو أبرع شرطي سري في العالم .

وأمر " **بابولوس** " خادمه بدعوة " **بوارو** " إلى الدخول .

وتبادل الرجلان التحية في حرارة ومودة ، ثم انحنى " **بوارو** " أمام " **زيلا** " يحييها في رقة . وقال :

– يؤسفني أنني حضرت مبكرا .

– إذن فأنت تتولى الآن إحدى القضايا .

– نعم .. مصرع السيدة " **كيترغ** " .

فقال اليوناني وهو يشحذ ذهنه :

– السيدة " **كيترغ** " .. ؟ أظنها السيدة التي قتلت في القطار الأزرق ؟

وتناول " **بوارو** " من جيبه اللفافة الرمادية ، ففضها وألقى باليواقيت الحمراء على المنضدة .

وتناول " **بابولوس** " الجواهر ففحصها ، وقال :

– إنها رائعة وعلى غاية من الجمال .

فسأله " **بوارو** " :

– وكم تساوي في تقديرك ..؟ نصف مليون مثلا ..؟

فألقى تاجر التحف رأسه إلى الوراء وقال ضاحكا :

– نصف مليون مقابل جواهر زائفة .. ؟

ثم استطرد متسائلا :

– ولكن أترى أنه من الفضول أن أسألك من أين جئت بها يا سيد " **بوارو** " .. ؟

وأجابه " **بوارو** " :

– إنك صديق قديم فكيف أضن عليك بالرد .. ؟ لقد كانت في حوزة الكونت " **دي لاروش** " .

فغمغم " **بابولوس** " في استغراب :

حقا .. !

ومال " **بوارو** " ناحية اليوناني عبر المائدة وقال :

– اسمع يا عزيزي .. سأكشف لك أوراقي بغير مواربة .. الجواهر الأصلية سرقت من السيدة " **كيترغ** " ، ومهمتي هي اعتقال القاتل ، وليس استرداد الجواهر فهذا من شأن الشرطة .. إنني أعمل لحساب السيد " **فان ألدن** " . وكل ما أبغيه من الجواهر هو أن تكون دليلا يرشدني إلى القاتل .. إن مسألة الجواهر لا تعنيني في شيء ... هل تفهم ما أعني يا سيد " **بابولوس** " .. ؟

وضغط " **بوارو** " على كلمات العبارة الأخيرة بحيث أدرك اليوناني المغزى الذي يهدف إليه الشرطي .

واستطرد " **بوارو** " :

– ويبدو أن في " **نيس** " الآن شخصا معينا سيشتري هذه الجواهر ... أو لعله اشتراها .

واستمر " **بابولوس** " يحتسي قهوته صامتا وتابع " **بوارو** " الحديث بقوله :

– وقلت في نفسي : آه ... إن صديقي " **بابولوس** " موجود الآن في " **نيس** " وهو يستطيع أن يعاونني .

فأجاب اليوناني :

– إنني جئت انتجاعا للصحة .

وتجاهل " **بوارو** " كلمات اليوناني واستطرد :

– وقلت في نفسي أيضا ، إن السيد " بابولوس " ذو شهرة عالمية ، يلجأ إليه الكبراء عندما يريدون التخلص من الجواهر التي ورثوها عن أسلافهم .. وقلت في نفسي أيضا إن " جذوة النار " وباقي المجوهرات الحمراء موجودة في " نيس " ، والسيد " بابولوس " في " نيس " ... فهو يعلم في أي يد هي الآن . فقال اليوناني وهو يرتشف من قدح القهوة :

– إنك تبالغ في إطرائي يا سيد " بوارو " .

واستطرد " بوارو " :

– أعود فاكرر إن مسالة الجواهر لا تهمني .. إن ما أريده منك خدمة شخصية لي أنا ... صديقك القديم . إنك تذكر ما حدث منذ سبعة عشر عاما .. عندما سرقت منك جوهرة نادرة ، فجئت تستنجد بي ، وقلت لي : " إذا أنت أرجعت إليّ هذه الجوهرة كنت أسير فضلك مدى العمر " ... والآن هانذا اطالبك برد الجميل .

وتريث " بابولوس " برهة مفكرا ، ثم قال :

– لا استطيع ان أفيدك بشيء عن الجواهر . أما إذا كنت تهتم بسباق الخيل فقد أدلي إليك بمعلومات مفيدة .

فقال بوارو :

– هات ما عندك إذن .

– سيجري حصان معين في سباق " لونجشان " ، ويحسن بالمرء ان يهتم به . فاوما " بوارو " برأسه قائلا :

– تماما ! تماما ..!

واستطرد اليوناني :

– واسم هذا الحصان هو " المركيز " ... إنه حصان إنجليزي .

ونهض " بوارو " فجاة وهو يقول :

– شكرا لك يا سيد " بابولوس " ... ساراهن على هذا الحصان بكل ما لدي من مال .

وما إن انصرف " بوارو " حتى عرج على أحد مكاتب البريد ، وبعث إلى المفتش " جاب " في " اسكتلانديارد " في " لندن " ببرقية محررة بالشفرة السرية ، فإذا ما حلت رموزها كان نصها كالآتي :

" أبرق إليّ بكل ما تعرفه عن رجل مشهور باسم " المركيز " " .

- 23 -

في الحادية عشرة صباحا كان " بوارو " يطرق باب المليونير " فان ألدن " .

وقال " بوارو " :

– لقد جئت لأحدثك عن فكرة طرأت بذهني . ولكنني أريد اولا ان استجوب الوصيفة مرة أخرى ، ترى هل استقالت .. ؟

فقال " فان ألدن " :

– إنها لا تزال هنا .

فغمغم " بوارو " في عجب :

– هذا غريب .. !

وتطلع إليه " فان ألدن " في استغراب ، ثم ضغط الجرس يستدعي الوصيفة، وحياها " بوارو " في رقة ودعاها إلى الجلوس وقال :

– لقد جئت يا آنسة " ميسون " لألقي عليك أسئلة أخرى عنت لي عن الرجل الذي كان في القطار وشاهدته السيدة كما شاهدته أنت أيضا ... لقد عرضنا عليك الكونت " دي لاروش " فقلت إن من المحتمل ان يكون نفس الرجل ولكنك غير متاكدة .

ثم استطرد " بوارو " :

– إنك قضيت شهرين في خدمة السيدة فكم مرة رأيت فيها سيدك ... ؟

وفكرت الآنسة " **ميسون** " برهة ثم أجابت :

– أعتقد انني لم أره إلا مرتين اثنتين .

– أكان ذلك منذ وقت بعيد أم قريب .. ؟

– لقد حضر مرة إلى بيتها في شارع "**كيرزون**" ، وكان واقفا في البهو ، فرأيته وأنا في الطابق الثاني من فوق سياج الدرج . والمرة الثانية كنت في إحدى الحدائق مع الخادمة " **أني** " ، فأشارت إلى رجل يسير مع سيدة أجنبية وقالت لي إن هذا هو السيد " **كيترغ** " .

وقال " **بوارو** " :

– و الآن اعيريني سمعك يا آنسة " **ميسون** " ... الرجل الذي رأيته يتحدث إلى سيدتك في محطة " **ليون** " أنى لك ان تتأكدي من انه لم يكن هو سيدك ، ما دمت لم تلمحيه إلا مرتين .. ؟

واستطرد "**بوارو**" :

– إنك عرفت أن سيدك كان في نفس القطار ، فلم لا يكون هو نفسه الرجل الذي كان يسير في الممشى .. ؟

– ولكن السيد الذي كان يتحدث إلى سيدتي لا بد أن يكون قد أقبل من رصيف المحطة ، فإنه لم يكن يرتدي ملابس السفر . وكان مرتديا المعطف والقبعة .

– أرجوك يا آنسة " **ميسون** " أن تفكري معي قليلا ... وصل القطار إلى محطة " **ليـــون** " ، وعادة ينزل كثير من الركاب إلى الرصيف ، ويتمشون عليه قليلا ، وكانت سيدتك تنوي أن تفعل ذلك ، فمن الطبيعي أن تلبس معطفها الفرو .

– هذا صحيح يا سيدي .

– إذن فلم لا يفعل سيدك مثلها ويرتدي معطفه .. ؟ إن القطار دافئ ، أما رصيف المحطة فجوه بارد ، فليس بالأمر الشاذ أن يرتدي معطفه وقبعته وهو خارج

يتمشى على الرصيف . وفيما هو يتمشى لمح زوجته في إحدى المقاصير ، ولم يكن يعرف من قبل أنها مسافرة في نفس القطار . فمن الطبيعي إذن أن يعود إلى القطار ويتجه إلى مقصورتها ، ولذلك دهشت عند رؤيته كما قررت أنت ، ثم أسرعت وأغلقت الباب الفاصل بين مقصورتها ومقصورتك ، فقد يكون حديثهما متسما بالسرية .

وفكرت الوصيفة برهة طويلة ، تدير في رأسها ما سمعته من " **بوارو** " ثم قالت :

– قد يكون الأمر كذلك يا سيدي ، فهذه الفكرة لم تخطر ببالي ... ولذلك ظننت أنه قادم من خارج القطار حين رأيته مرتديا معطفه وقبعته ... ثم إن لسيدي نفس قوام الرجل .. نعم .. ربما كان الرجل الذي تحدث إلى سيدتي هو السيد " **كيترغ** " نفسه .

وأخرج " **بوارو** " من جيبه علبة سجائر من الجلد .

– أهذه علبة سيدتك .. ؟

– كلا يا سيدي .. إلا إذا .... إلا إذا .

وفكرت برهة ثم استطردت :

– أعتقد أن السيدة اشترت هذه العلبة لتهديها إلى السيد "**كيترغ**"، ولكني لا أعرف إن كانت قدمتها إليه أم لا .

وشكرها " **بوارو** " وصرفها . وسأله " **فان ألدن** " :

– إن كل القرائن تشير إلى أن الكونت "**دي لاروش** " هو الجاني ، ويكفي دليلا أن اليواقيت الحمراء كانت في حوزته .

فابتسم "**بوارو** " وقال :

– ولكني لم أقل لك شيئا من هذا القبيل .

فحملق إليه " **فان ألدن** " في دهشة وقال :

– واللفافة الرمادية .. ؟ واليواقيت الحمراء التي كانت في العلبة وأريتها لي

بالأمس .. ؟

فقال " بوارو " وعلى وجهه ابتسامة ماكرة :

– إنني لم أقل أبدا إن هذه اليواقيت هي التي سرقت من ابنتك .. ! إن ما أريته لك بالأمس لم يكن إلا يواقيت مقلدة بإتقان ، ولكنها لم تكن أبدا الجواهر الأصلية المسروقة .

- 24 -

مرت بضع ثوان قبل أن يدرك " فان ألدن " المغزى الحقيقي الذي ينطوي تحت كلمات " بوارو " .

– أتريد أن تقول إن ما أريته لي كان جواهر مقلدة .. ؟

– تماما ... ولكنها مقلدة بإتقان .

– ولكنك تعتقد أن " الكونت " كان ينوي أن يسرق الجواهر .. ؟

– هذا لا شك فيه ، ولكن أرجو أن تستمع إليّ ... سأشرح لك الموضوع كما أتصوره .

وبعد سكتة قصيرة استطرد " بوارو " قائلا :

– لقد عرف الكونت " دي لاروش " أنك تسعى وراء شراء ياقوتة " جذوة النار " لأن الخبر كان على كل لسان في سوق الجواهر ، فبنى خطته على هذا الأساس ... زعم لابنتك أنه يضع كتابا عن الجواهر الشهيرة ، فلما عرف أنك اشتريت الجوهرة أغرى ابنتك بأن تحضرها معها وكان قد أعد جواهر مقلدة مطابقة للجواهر الأصلية ولم تكتشف ابنتك ما حدث لأنها ليست خبيرة فنية، وسوف ينقضي وقت طويل قبل أن تكتشف ما جرى . وأعتقد أنها ما كانت لتشكو " الكونت " حتى تتفادى التشهير باسمها ، إذ لا شك في أنه يحتفظ لديه بالعديد من الخطابات الغرامية التي حررتها له .

فقال " فان ألدن " مؤمنا :

– إن الصورة واضحة الآن أمام عيني ، ولكن ما الذي حدث فعلا بعد ذلك .. ؟

فأجاب " بوارو " :

– الأمر واضح جدا ... لقد اقتحم الميدان شخص آخر وسرق الجواهر .

وتريث " فان ألدن " مفكرا ، ثم سأل :

– السيد " بوارو " ... منذ متى كنت تشك في صهري " ديريك كيترنج " .. ؟

– من اللحظة الأولى ، فقد توافر له الدافع والفرصة لارتكاب الجريمة ... لقد أخذناها قضية مسلما بها منذ أول يوم – إن الرجل الذي كان في مقصورة السيدة في " باريس " هو الكونت " دي لاروش " ، وأنا نفسي اعتقدت هذا . ثم عرفت من تحرياتي أن الرجلين متشابهان قواما وقامة ، فبدأت تراودني أفكار جديدة . وقد علمت أيضا أن الوصيفة لم تقض في خدمة ابنتك إلا شهرين اثنين ، ولمحت فيهما السيد " كيترنج " مرتين اثنتين ، وعلى البعد أيضا . فضلا عن أن الرجل كان مرخيا قبعته على جبينه ، وكان موليا وجهه نحو النافذة . فأنى لها أن تعرف إن كان الرجل الذي في المقصورة هو زوج السيدة أم شخص آخر ؟

فقال " فان ألدن " :

– إذن فأنت تعتقد أن " ديريك " هو الذي قتلها .. ؟

– كلا ... إنني لم أقل هذا ... هذا أحد الاحتمالات ... ودافعه إلى القتل أنه كان مفلسا ، ووفاة زوجته سبيله الوحيد إلى الميراث الطائل .

– ولكن ما الذي يدعوه إلى سرقة الجواهر ... ؟

– لتضليل الشرطة ... حتى يعتقدوا أنها مجرد سرقة عادية أقدم عليها أحد لصوص القطارات .

– ولكن ما الذي فعله باليواقيت .. ؟

– هذا ما سوف يتكشف فيما بعد ... أتذكر اليوناني تاجر التحف الذي

استرعيت بصرك إليه في النادي .. ؟ إنه هو الذي سيمدني بالمعلومات .

وغادر جناح المليونير الأمريكي على الفور . وحين بلغ باب الفندق رأى سيارة تقف أمام الباب ، وفي داخلها " **كاترين جراي** " ، على حين كان " **ديريك كيترنغ** " واقفا بجانبها يتحدث إليها في حرارة . وبعد دقيقة أو اثنتين مضت السيارة مبتعدة ، وبقي " **ديريك** " مكانه يتابعها ببصره شاردا . ثم هز كتفيه دلالة على عدم الاكتراث ، وندت عن صدره تنهيدة عميقة ، ثم استدار فإذا به يجد " **هيركيول بوارو** " واقفا بجانبه ، فلم يملك إلا أن يجفل للمفاجأة .

وقال " **ديريك** " في نبرة من لا يبالي :

– أليست فتاة لطيفة .. ؟

وأجابه " **بوارو** " :

– إنها لكذلك حقا .

ثم أردف في كلمات بطيئة متمهلة :

– اتسمح لرجل عجوز مثلي بأن يسديك النصح ، دون أن تعتبر تدخله هذا فضولا وقحة .. ؟ إن لديكم يا معشر الإنجليز مثلا يقول : " لا تقدم على حب جديد إلا إذا تخلصت من الحب القديم " .

فاستدار إليه " **ديريك** " وقال في غضب :

– ما الذي تعني بحق الشيطان .. ؟

– الذي أعنيه هو أنه يكفي أن تدير رأسك إلى الوراء قليلا لترى سيدة أخرى تنتظرك في سيارتها .

فالتفت " **ديريك** " خلفه وغمغم ساخطا :

– " **ميريل** " .. ؟ ألا تبا لها ! عليها اللعنة ! ما الذي تبغيه مني..؟! إنني فصمت علاقتي بها .

فقال " **بوارو** " في بساطة وهدوء :

– أنت فصمت علاقتك بها ، ولكن أتراها هي فصمت علاقتها بك .. ؟

فانطلق " **ديريك كيترنغ** " ضحكة هازئة وقال :

– وهل ترضى من كانت مثلها أن تقطع علاقتها بمليونين من الجنيهات ..؟

وقفل " **بوارو** " عائدا إلى بيته .

ودق جرس التليفون ، وكان " **كايتون** " هو المتكلم قائلا :

– إن السيد " **فان ألدن** " يريد أن يتحدث إلى السيد " **هيركيول بوارو** " .

وقال " **فان ألدن** " يخاطب " **بوارو** " :

لقد أردت أن أبلغك أن الآنسة " **ميسون** " جاءت إليّ الآن وقالت : إنها أصبحت على يقين من أن الرجل الذي رأته في القطار كان هو " **ديريك كيترنغ** " بنفسه. فرد " **بوارو** " :

شكرا يا سيد " **فان ألدن** " .

ورد السماعة مكانها وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة .

- 25 -

عندما مر " **ديريك كيترنغ** " بجوار سيارة " **ميريل** " نادته :

– " **ديريك** " . يجب أن أتحدث إليك لحظة .

فرفع قبعته بحييها ، وتابع طريقه ، وما كاد يصل إلى فندقه حتى قال له كاتب الاستعلامات إن في انتظاره في الصالون سيدا لم يذكر اسمه .

ووقف الزائر في احترام يحييه وعرف فيه " **ديريك** " على الفور الكونت " **دي لاروش** " . وقال له :

– إنك الكونت " **دي لاروش** " ، أليس كذلك .. ؟ أخشى أن تكون قد ضيعت وقتك عبثا في الحضور .

فابتسم " **الكونت** " في رقة وقال :

– لا أظن .

وود " **ديريك** " لو أنه لكم " **الكونت** " فهشم أسنانه ، بيد أنه تماسك ، وقال :

– ماذا تريد ؟

وقال "**الكونت**" :

– أرجو أولا يا سيدي أن تقبل عزائي.

فقال " **ديريك** " في غضب :

– إن قحتك تغريني بأن أقذف بك من النافذة .

اكتفى " **الكونت** " بأن قال في هدوء ودون مبالاة :

– ما كنت أحسب أبدا أن الإنجليز سريعو الانفعال ، ومع ذلك فلنتحدث فيما جئت من أجله .

وتطلع الكونت "**دي لاروش**" إلى السقف وقال :

– إنك ورثت الآن قدرا ضخما من المال ..

– وما الذي يعنيك أنت من هذا بحق الشيطان .. ؟

ورفع " **الكونت** " قامته وقال في ثبات :

– إن اسمي الآن مضغة في الأفواه ... إنني متهم بارتكاب جريمة القتل .

ولكنني بريء من هذه التهمة يا سيدي ... وليس هذا فقط ، بل إنني في حاجة ماسة إلى المال .

ونهض " **ديريك كيترنغ** " واقفا وقال :

– إنني لن أعطيك بنسا واحدا ... إنك تريد أن تشهر بزوجتي وأن تعلن على رؤوس الأشهاد أنك كنت على علاقة بها .. حسنا .. لقد ماتت زوجتي ، وأية فضيحة لن تضيرها الآن في شيء .

واستدار " **ديريك** " يهم بمغادرة القاعة بيد أن " **الكونت** " لاحقه بقوله :

– إنك مخطئ في هذا يا سيدي ... إنني ما حضرت لأبتز منك مالا .

ثم استتلى يقول :

– قلت لك إنني في حاجة إلى المال وقد أفضي إلى الشرطة بمعلومات معينة .

وارتد " **ديريك** " راجعا إليه وهو يتساءل :

– ما الذي تعنيه ... ؟

وتلاعبت على شفتي " **الكونت** " ابتسامته الرقيقة المعهودة وقال :

– إن لديك دافعا قويا للقتل ... إنك سوف ترث بضعة ملايين .. ؟

برقت عينا " **ديريك** " بالسخرية وقال :

– أهذا كل ما لديك .. ؟

– كلا .. بل إن لدي معلومات حاسمة .

فقال " **ديريك** " في غضب :

– أتراك تهددني .. ؟ إنني لا أحفل بمزاعمك الكاذبة .

– ولكنها ليست مزاعم كاذبة يا سيدي ... إن معلوماتي مستمدة من سيدة معينة ، وهي التي تحتفظ لديها بالدليل الحاسم على أنك القاتل .

فقال " **ديريك** " في استغراب :

– ومن تكون هذه السيدة .. ؟

– الآنسة " **ميريل** " الراقصة الشهيرة

وأجفل " **ديريك** " كأنما تلقى ضربة على رأسه .

وغمغم في دهشة :

– " **ميريل** " ... !

واغتنم " **الكونت** " الفرصة لمزيد من الضغط وقال :

– مائة ألف فرنك تكفي لكي ألجم لساني .

وتماسك " **ديريك** " واسترد ثباته وقال في هدوء :

– أتريد جوابي الآن .. ؟

فاجاب " **الكونت** " :

– هذا إذا تفضلت ..

– إذن إليك الرد ... اذهب إلى الجحيم .

واستدار " **ديريك كيترغ** " وغادر الغرفة مسرعا وما إن خرج إلى الطريق حتى استدعى " تاكسي " استقله إلى الفندق الذي تنزل فيه " **ميريل** " .

استقبلته " **ميريل** " في حرارة متدفقة باسطة إليه ذراعيها لتضمه إلى صدرها وهي تقول :

– كنت اتوقع هذا .. كنت أعرف انك سترجع .

بيد انه نحى الذراعين الممدودتين وقال :

– لم بعثت إليّ بـالكونت " **دي لاروش** " .. ؟

وتطلعت إليه في دهشة .

– انا .. ؟ انا بعثت إليك بـ " **الكونت** " .. ؟

فاجابها في جفوة :

– السبب واضح ... للابتزاز .

وللمرة الثانية حملقت إليه دهشة .

– كان يجب أن اتوقع هذا منه ... إنه من الطراز الذي لا يحجم عن مثل هذه الفعلة ... ولكني لم ابعث به إليك .

واستطردت " **ميريل** " :

– إنك تذكر بالتأكيد ما حدث .. كنت ثائرة مهتاجة عندما كاشفتني بانك اعتزمت ان تقطع علاقتك بي ، وأردت ان اثار منك ، فما كان مني إلا ان ذهبت إلى الكونت " **دي لاروش** " ، وسالته ان يمضي إلى الشرطة ، وان يقول لهم كذا وكذا ، ولكن لا تخش شيئا يا " **ديريك** " ، فإنني لم افض إليه بالدليل الذي يدينك ، وليس في وسع الشرطة أن يتخذوا اي إجراء ضدك إلا إذا انا تكلمت . . .

ولن أتكلم بالتاكيد مادمت قد عدت إليّ .

وتطلعت إليه بعينين تذوبان رقة وعذوبة ، وأسندت رأسها إلى كتفه . بيد انه ازاحها بعيدا عنه ، فوقفت تتطلع إليه وصدرها ينتفض انفعالا .

وقالت له :

– " **ديريك** " .. كن على حذر ... إنك رجعت إليّ ، أليس كذلك .. ؟

فاجابها في حزم وإصرار :

– إنني لن أرجع إليك ابدا .

واختلج جفناها ، وبدت كالقطة المتوحشة المتحفزة .

وقالت :

– إذن فهناك امراة اخرى .. ؟ تلك التي تناولت الغداء معها منذ أيام ، اليس كذلك .. ؟

ولم يشأ " **ديريك كيترغ** " ان يموه عليها . أجاب :

– إنني أنوي ان اتزوج هذه السيدة .

فقالت في انفعال :

– وهل تعتقد أنني أستطيع ان اتحمل هذا ..؟ اتذكر ذلك الحديث الذي جرى بيننا في " لندن " .. ؟ إنك قلت لي عندئذ إن الوسيلة الوحيدة التي يمكن ان تنقذك هي موت زوجتك ، ثم قلت إنه مما يؤسف له أن صحتها جيدة . ثم انبثقت في ذهنك فكرة وقوع حادث لها يودي بحياتها .

فقال " **ديريك** " في سخرية لاذعة :

– وتلك هي القصة التي افضيت بها إلى " **الكونت** " .. ؟

وضحكت " **ميريل** " وقالت :

– اتحسبني حمقاء إلى هذا الحد . إن رجال الشرطة لا يمكن ان يتخذوا اي إجراء استنادا إلى قصة واهية كهذه ... انا الوحيدة التي تستطيع ان تقدم ضدك الدليل

الحاسم .. ؟ إنك سترجع إليّ ... ستعود إلى عشك القديم .. وعندها لن تنفرج شفتاي عن كلمة واحدة .

فتساءل :

– ماذا تعنين .. ؟

فقالت ضاحكة :

– أتحسب ان أحدا لم يرك .. ؟

فتأملها بعينين تستفسران عما تعني ، فقالت :

– لقد رأيتك وانت تخرج من مقصورة زوجتك في القطار الأزرق قبيل دخول القطار محطة " ليون " ... بل إنني أعرف أكثر من هذا .. أعرف أنها كانت جثة هامدة عند مغادرتك مقصورتها .

وحملق إليها " ديريك " ، ثم استدار ليغادر الغرفة في خطوات متخاذلة متمهلة، وهو يترنح كالثمل .

- 26 -

جاءت " كاترين " إلى " مونت كارلو " في رفقة مضيفتها الليدي "تامبلين" ، وما كادتا تحلان في الفندق حتى التقتا بالميجور " كايتون " سكرتير المليونير " فان ألدن " . ومضت الليدي "تامبلين" تلقي إلى " كايتون " ألوانا من الإطراء والثناء .

ورآهم " بوارو " يتجولون في حديقة الفندق ، فانسحبت " كاترين " ، ومضت إلى " بوارو " ، فدعاها إلى الجلوس . وسألها " بوارو " :

– ما رأيك في الميجور " كايتون " .. ؟

فأجابته في حماس ودون تردد :

– إنني أميل إليه كثيرا .. إنه شاب لطيف .

وندت من " بوارو " تنهيدة من أعماق صدره ، فسألته " كاترين " :

– ما الذي جرى .. ؟ ولم تنهدت ..؟

– لو أنك اكتفيت بأن قلت في بساطة إنه شاب لطيف .. أعني لو أجبت بغير حماس لكنت أهنأ بالا .

وقالت الفتاة :

– إنني غير فاهمة لما ترمي إليه .

فتأملها " بوارو " برهة ثم قال :

– إنني رجل عجوز ، وفي بعض الأحيان ألتقي بشخص ما . وأحس نحوه بميل يجعلني شديد الاهتمام بأن أراه سعيدا .. هذا كل ما هنالك .

وحملقت " كاترين " إلى وجه " بوارو " ، ولبثت لائذة بالصمت .

– والآن دعيني أسألك عن " ديريك كيترنغ " ، ترى هل تميلين إليه .. ؟

فأجابت :

– إنني لا أكاد أعرفه .

– لعلك على حق يا آنسة .. إنني أعرف أمرين بحكم خبرتي : أولهما أن الرجل الفاضل قد يدمره حبه لامرأة سيئة ، وثانيهما أن الرجل السيء قد يدمره حبه لامرأة فاضلة .

وتريثت " كاترين " برهة مفكرة ثم قالت :

– يبدو أنك تريد أن تحذرني .. ؟ ولكن ممن تريد تحذيري .. ؟

– حسبي أن أقول إن لبعض الرجال فتنة تذهب بالعقول .

فسألته :

– لعلك تعني الكونت "دي لاروش " .. ؟

– بل أعني سواه .. فثمة رجال أشد خطرا من " الكونت " ..

ثم أردف :

– إنني أستطيع أن أدرك يا آنسة أنك مفتونة ، ولكنك لم تقعي بعد في براثن

الحب .. ربما استطعت أن تحبي لصا ، ولكنك لن تحبي أبدا قاتلا .

وهب واقفا ، واستدار منصرفا ، تاركا " **كاترين** " وحدها ، وهي تند عن صدرها تنهيدة تناهت إلى سمعه ، ولكنه كان سعيدا ، فما من شك في أنها الآن تدير في رأسها ما يرمي إليه بهذه الكلمات .

واتفق في هذه اللحظة ان كان " **ديريك كيترغ** " خارجا من الكازينو فرأى " **كاترين** " جالسة وحدها ، فاقبل عليها واتخذ مقعده بجانبها وهو يقول :

– كنت ألعب القمار ، ولكني خسرت كل ما معي .

فقالت له :

– يبدو أن روح المقامرة تسري في أوصالك .

فأجاب :

– إنك لعلى حق .

وران عليهما الصمت برهة ثم قال " **ديريك** " فجاة :

– أريد أن أتحدث إليك في أمر مهم .. ثمة ألسنة تردد أنني أنا الذي قتلت زوجتي .. أرجوك .. لا تقاطعيني .. إنها بالتأكيد فكرة سخيفة .

وأمسك لحظة ثم استرسل يقول :

– إنني لا أحب أن أموه عليك ، وإنما سأصارحك بكل ما في نفسي ، قبل أن ألتقي بـ " **روث** " لم يكن في نيتي إلا ان أتزوج فتاة ثرية وقد وجدت فيها صيدا طيبا فاقترنت بها . وكنت أعرف أنها واقعة في هوى رجل آخر ، ولكني لم أحفل بهذا ، فقد كانت الصفقة في رأيي رابحة : أنا أسعى إلى المال، وهي تسعى إلى امتلاك لقب اللوردية . بيد أن المشكلة نشأت عندما توهمت " **روث** " أنها اشترتني بأموالها .

فنشب بيننا خلاف شديد ، وهجرت البيت ، وقبيل موتها استدعاني حماي وصارحني بأن ابنته ستطلب الطلاق ، ونزل عليّ قوله كالصاعقة ، لانني مفلس لا

أملك شيئا .

واستطرد قائلا :

– وبعد ذلك قتلت " **روث** " ، وكان موتها بركة عليّ . لا تتقززي من كلامي ، فقد قلت إني أنوي أن أصارحك بكل ما يدور بخاطري .

وبعد لحظات استتلى قائلا في نبرة حادة :

– والآن ثمة شيء آخر ... منذ اللحظة التي رأيتك فيها أدركت أنك المرأة الوحيدة التي أحببتها . إنني أعلم ما سوف يقولون عني .. سيقولون إنني رجل عربيد ، و إنني قتلت زوجتي . ولكني أقسم أنني بريء لم ألمس شعرة في رأسها ، أما سلوكي العربيد فقد انقضى أمره ، وبدأت صفحة نقية ناصعة .

وتطلع في عينيها وهو يقول :

– أعلم أنني كذبت عليك منذ أيام ولكنني أعترف الآن أنني أنا الذي دخلت مقصورتها .

استطرد " **ديريك كيترغ** " :

– لقد أخبرتني " **ميريل** " أن زوجتي ستقابل الكونت " **دي لاروش** " في " **باريس** " ، ولذلك قررت أن أقابلها في القطار . اقتحمت مقصورتها لأندد بسلوكها المنحرف .

بعد سكتة قصيرة تابع حديثه قائلا :

– كانت " **روث** " مستغرقة في النوم ، وأحجمت عن إيقاظها إذ ليس هناك أية فائدة في أن تردد ما سبق أن تحدثنا عنه عشرات المرات .

سألته " **كاترين** " :

– ولمَ كذبت على الشرطة ؟

– لأن الشرطة تبحث قبل أي شيء عن الدافع إلى القتل فإذا اعترفت بأنني دخلت مقصورتها لم يترددوا في توجيه التهمة إليّ ، لأن الدافع متوافر لديّ ،

الإرث الذي سأتلقاه عنها .

ومن جديد خيم عليهما الصمت .

بغتة قال " **ديريك** " :

– " **كاترين** " .. إنك تعلمين أنني أحبك . يا ترى هل يعنيك أمري .. ؟

فأجابت :

– لا أدري .

وتضرج وجهها احمرارا ، ولمحت الميجور " **كايتون** " مقبلا عليها وهو يحجل قليلا بسبب الرصاصة التي أصابت ساقه أيام الحرب ، فوجدت فيه منقذا من هذا الحديث المربك ، فتلقته بمبالغة في الترحيب به ، فما كان من " **ديريك** " إلا أن انصرف مزمجرا ، مغيظا .

وبوغتت " **كاترين** " للمرة الثانية حين سمعت الميجور " **كايتون** " يقول لها :

– منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها ألفيت نفسي هائما بك .. إن السيد " **فان ألدن** " قد يسافر خلال يوم أو يومين ، وقد أردت أن تعرفي هذا قبل رحيلي .. أرجوك .. لاتردي الآن ، ولكن فكري في الأمر .

ولاذ بالصمت برهة ، ثم أردف في رقة ودعة :

– وثمة شيء آخر .. إذا حدث أن واجهتك مشكلة ، فاعلمي أنه يسعدني أن أخف إليك لأساندك .

ثم أخذ بيدها بين راحتيه ، وضغطها في حرارة ، وبادر ينصرف مسرعا ، كما جاء من قبل مسرعا .

وجلست " **كاترين** " ساهمة شاردة ، وخواطرها تتردد في حيرة وارتباك بين الرجلين : " **ديريك كيترنغ** " والميجور " **ريتشارد كايتون** " .

وفجأة خيل إليها أن شبحا برز إليها من وراء الأشجار شبح القتيلة " **روث فان ألدن** " .. !

تجسد الشبح أمامها ، وأخذ يحرك شفتيه ، كأنما يريد أن يقول شيئا ، فما الذي كان ينبغي أن يقول ؟ نعم .. ما الذي كان يريد الشبح أن يقوله .. ؟

- 27 -

مضى الميجور " **كايتون** " إلى مقابلة " **هيركيول بوارو** " ، فوجده في كازينو القمار يتسلى بمشاهدة اللاعبين . وقال له :

– أريد أن أتحدث إليك يا سيد " **بوارو** " .

وخرجا إلى الحديقة يتجولان في أرجائها .

وقال " **كايتون** " :

– إنني أحب " **الريفييرا** " ، وقد زرتها من قبل منذ اثنتي عشرة سنة عندما نقلت أثناء الحرب جريحا إلى مستشفى الليدي " **تامبلين** " .

توقف " **كايتون** " فجأة عن متابعة السير ، واستدار إلى " **بوارو** " قائلا :

– إنك بالتأكيد سمعت عن الراقصة " **ميريل** " .. ؟

فأجاب :

– بالتأكيد .. إنها صديقة " **ديريك كيترنغ** " .

– هي بعينها . ولذلك يمقتها السيد " **فان ألدن** " مقتا شديدا .. لقد بعثت إليه " **ميريل** " بخطاب تسأله أن يحدد موعدا لمقابلتها ، فأمرني بأن أرد عليها معتذرا ، ولكنها جاءت إلى الفندق صباح اليوم ، وأرسلت إليه بطاقتها تلح في مقابلته .

فقال " **بوارو** " :

– هذه حقا معلومات طريفة .

واستطرد " **كايتون** " :

– وهاج السيد " **فان ألدن** " غضبا ، وأمرني بأن أخطرها بأنه يرفض مقابلتها .

وكان هذا الرفض من جانبه تصرفا متسما بالرعونة . لقد قلت في نفسي إن هذه المرأة كانت في القطار الأزرق ليلة مصرع السيدة " **كيترغ** " ، فلعلها تعرف شيئا مهما . .

فأجابه الشرطي :

– إن منطقك سليم .

واستطرد " **كايتون** " :

– ولهذا تسللت خفية عن السيد " **فان ألدن** " ونزلت لمقابلتها لأعرف ما تبغيه .

– حسنا فعلت . . وما الذي عرفته منها . . ؟

– كذبت عليها وأخبرتها أنه مريض وسوف يقابلها بعد أيام ، ولكنها أبت أن تفضي إليّ بكلمة واحدة، ولكنني موقن يا سيد " **بوارو** " من أن هذه المرأة تعرف شيئا .

فقال " **بوارو** " :

– هذا محتمل ، أتعرف أين تقيم وذكر له " **كايتون** " اسم الفندق الذي تنزل فيه .

فقال " **بوارو** " :

– إذن هيا بنا نذهب إليها معا .

فقال " **كايتون** " معترضا :

– و السيد " **فان ألدن** " . . ؟ هذا التصرف مني سيغضبه .

فأجاب " **بوارو** " في هدوء :

– السيد " **فان ألدن** " أحمق عنيد وأنا في عملي لا أخضع لنزوات الحمقى .

ثم أردف :

– إنني أنا الذي سأتولى الحديث ، وسأخبر " **ميريل** " بأنك مفوض بأن تعمل

باسم السيد " **فان ألدن** " فلا تعترض على قولي .

وبعد فترة وجيزة كانا في جناح الراقصة .

فقال " **بوارو** " :

– إننا هنا بالنيابة عنه ، وقد فوضنا أنا وسكرتيره الميجور " **كايتون** " بأن نتصرف باسمه إلا إذا أردت أن تنتظري أسبوعا أو أسبوعين حتى يشفى من الإنفلونزا التي نزلت به .

فصاحت الراقصة في انفعال وغضب :

– حسنا . . سأتكلم أيها السادة . . لقد كتمت سره بصدري ، ولكنه أهانني . . نعم أهانني . . يهجرني ويقطع صلته بي ، كأنني قفاز يقذف به إلى صندوق القمامة

واشتد هياجها ، وتدفقت الكلمات من فمها ساخطة فهتف " **بوارو** " :

– هذا رائع . . إن الآنسة تبدو عصبية .

– لقد حذرت " **ديريك** " وأنذرته ، ولكنه لم يستمع إليّ .

ثم أردفت تتساءل :

– هل صحيح أنه ينوي أن يتزوج الفتاة الإنجليزية . . ؟

فأجابها " **بوارو** " :

– لقد قيل لي إنه يهيم بها غراما .

وتحولت " **ميريل** " إلى الرجلين وصرخت قائلة :

– إنه هو الذي قتل زوجته . . ؟ لقد أخبرني بما ينوي أن يفعل قبل أنه يرتكب جريمته !

فسألها " **بوارو** " :

– إن الشرطة تطلب الدليل دائما .

فقالت في انفعال :

– لقد رأيته في تلك الليلة وهو يخرج من مقصورتها .

فسألها " **بوارو** " في اهتمام :

– ومتى كان ذلك .. ؟

– قبيل أن يصل القطار إلى محطة " **ليون** " .

وران السكون على الجميع برهة .

وقال لها " **بوارو** " :

– إنك تدركين بالتأكيد يا آنسة مدى خطورة هذه الشهادة .

– بالتأكيد أدرك مدى خطورتها .

– يجب ألا نضيع لحظة واحدة .

وبعد أقل من عشرين دقيقة كان الثلاثة – "**بوارو**" و "**كايتون**" و "**ميريل**" – في حضرة قاضي التحقيق .

وعادت "**ميريل**" تسرد قصتها بنفس الألفاظ تقريبا ، وهي لا تزال ثائرة عصبية المزاج .

وفي تمهل قال لها السيد "**كاريدج**" قاضي التحقيق :

– أتريدين منا أن نصدق أن السيد "**كيترنغ**" كان يفخر أمامك بجريمته مسبقا قبل أن يرتكبها ؟

– تماما .. كان يقول لي إن صحتها جيدة ، وأنها إن ماتت في الوقت الحاضر فلن يكون ذلك إلا في حادث يقع لها .. وقال أيضا إنه سيدبر كل شيء .

وقال لها قاضي التحقيق في نبرة من الصرامة :

– هل تدركين يا آنسة أنك بهذه الشهادة تضعين نفسك موضع المشاركة في الجريمة .. ؟!

فهتفت :

– أنا شريكته في الجريمة ؟! إنني لم آخذ حديثه مأخذ الجد مطلقا . كانت

كلماته في رأيي مجرد هذر ومبالغة سخيفة .

صمت قاضي التحقيق برهة ، ثم سألها :

– اسمحي لي يا آنسة أن أسألك عما حملك على فسخ عقد عملك في "**لندن**" والحضور إلى "**الريفييرا**" ؟

فقالت ونظراتها حالمة هائمة :

– لقد أردت أن أكون بجانب الرجل الذي أحبه .

وسألها قاضي التحقيق :

– ومتى اقتنعت أن السيد "**كيترنغ**" هو القاتل .. ؟

– لقد رأيته خارجا من مقصورة زوجته قبيل وصول القطار إلى "**ليـون**" .. وكانت سحنته منقلبة .

ثم استطردت :

– أدركت السبب حين عرفت فيما بعد أن السيدة "**كيترنغ**" وجدت مقتولة عند مغادرة القطار محطة "**ليون**" .

فقال مفتش الشرطة :

– ومع ذلك لم تذهبي إلى الشرطة لتدلي بشهادتك ..؟

وتطلعت إليه "**ميريل**" في عظمة وخيلاء ، وقالت وهي مزهوة بالدور التمثيلي الذي تؤديه :

– وهل أخون حبيبي ..؟ أوه .. كلا .. لا تطلب من امرأة عاشقة أن تفعل هذا.

– ولكنك جئت الآن تدلين بشهادتك .. ؟

فأجابت :

– الأمر اليوم مختلف .. لقد خانني " **ديريك** " وهجرني ، فهل أقف مكتوفة اليدين ولا أثأر لنفسي .. ؟

وقاطعها قاضي التحقيق بقوله :

– أرجو أن تقرئي الشهادة التي أدليت بها وان توقعي عليها .

فنهضت واقفة وهي تقول :

– و " **ديريك** " .. ؟ هل ستقبضون عليه .. ؟

– في الحال يا آنسة .

واطلقت " **ميريل** " ضحكة قاسية تنبض بالشماتة .

وقالت :

– كان يجب أن يحسب حسابا لهذا قبل أن يهينني .. إنني اعتدت أن أهجر الرجال ، ولا أقبل البتة أن يبادر رجل بالتخلي عني .

وتنحنح " **بوارو** " في صوت خافت ، ثم قال :

– ثمة سؤال يا آنسة .. ما الذي جعلك تعتقدين أن السيدة " **كيترغ** " كانت ميتة عند مغادرة القطار " **ليون** " .. ؟

وحملقت إليه " **ميريل** " وقالت :

– ولكنها كانت ميتة إذ ذاك .

فقال " **بوارو** " في إصرار :

– أحقا كانت ميتة .. ؟

– بالتأكيد كانت ميتة .. إنني ...

ثم أمسكت عن إتمام جملتها ، وقالت :

– لقد قيل لي إنها كانت ميتة عند مغادرة القطار المحطة .. كلهم يقولون هذا .

فقال " **بوارو** " في نبرة ذات مغزى :

– لم أكن أعلم أن هذه الواقعة تجاوزت باب غرفة التحقيق

وبدا على " **ميريل** " شيء من الحيرة والارتباك ، واستدارت متجهة إلى الباب، وهب السيد " **كوكس** " واقفا ، وبادر يفتحه لها في احترام . بيد أن صوت "**بوارو**" جلجل في أرجاء الغرفة في هذه اللحظة قائلا :

– هل تستطيعين أن تحدثيني عن الجواهر ؟

فردت في أعقابه :

– الجواهر .. ؟ أية جواهر .. ؟

– يواقيت الإمبراطورة " **كاترين** " .

– إنني لا أعرف شيئا عن هذه الجواهر .

ثم بادرت إلى الانصراف وأغلقت الباب وراءها .

وقال قاضي التحقيق :

– إنها عصبية لا تحتمل .. ولكن هل ما روته هو الحقيقة .. ؟ إنني أعتقد أنها صادقة .

فقال " **بوارو** " :

– يوجد بعض الحقيقة فيما سردته ، فقد عززت الآنسة " **كاترين** " شيئا من أقوالها ، فقبل أن يصل القطار إلى محطة " **ليون** " كانت واقفة في أقصى الممشى فرأت السيد " **كيترغ** " يدخل مقصورة زوجته .

وقال مفتش الشرطة :

– إن أدلة الاتهام ضد " **كيترغ** " تبدو قوية مقنعة .

وقال قاضي التحقيق مشككا :

– أرجو ألا نكون مخطئين ، فالسيد " **كيترغ** " من أبناء الطبقة الراقية ، ولن ترحمنا الصحف إذا نحن اعتقلناه ، ثم ثبت أنه بريء .

وقال مفتش الشرطة متسائلا :

– ولكن ما الذي فعله بالمجوهرات يا ترى ؟

– أسرع بها إلى أحد تجار الجواهر المسروقة .

وابتسم " **بوارو** " قائلا :

– إن لديّ فكرة أخرى عن الجواهر .. ترى ما الذي تعرفونه أيها السادة عن رجل

اشتهر باسم "المركيز" ؟

فقال مفتش الشرطة في انفعال :

– "المركيز" ..؟ "المركيز" ..؟ أتعتقد يا سيد "بوارو" انه مندمج في هذا الموضوع.. ؟

– ربما ، فما الذي تعرفه عنه .؟

– القليل .. فهو يعمل من وراء الستار .. يصدر الأوامر وأعوانه ينفذون .

واستاذن "بوارو" في الانصراف قائلا إنه يتوقع أن يوافيهم عاجلا بأنباء ذات شأن .

وحين بلغ فندقه وجد في انتظاره برقية عاجلة ، ففضها وتلاها مرتين أو ثلاثا ثم صعد إلى جناحه .

وقال له خادمه "جورج" :

– لقد اتصلت تليفونيا بالآنسة "بابولوس" ، ويسعدها هي وأبوها أن يتناولا العشاء معك الليلة .

– شكرا لك يا "جورج" .

وما إن غادر "جورج" الغرفة حتى غرق "بوارو" في التفكير محاولا أن ينسق الوقائع التي توافرت بين يديه وأن يربط بينها ليخرج منها بنتائج محددة.

- 28 -

قبل موعد العشاء بساعة تقريبا ذهب "بوارو" إلى بيت الليدي "تامبلين" ، وطلب مقابلة الآنسة "جراي" لغرض في نفسه ، فاستقبلته "لينوكس" وأبلغته أن "كاترين" لم تكمل ارتداء ملابسها بعد . فقال :

– أظن أنه ليس من الضروري أن أنتظر الآنسة "كاترين".. نعم .. من الأفضل ألا أقابلها ، فمثل هذه الأمور شاقة على النفس .

واستطرد "بوارو" :

– إن لديّ لها نبأ سيئا .. هل لك أن تبلغيها أن صديقها السيد "كيترنج" اعتقل الليلة بتهمة قتل زوجته .

فشحب وجه "لينوكس" ، وتسارعت أنفاسها وقالت :

– وهل تعتقد أنت أنه القاتل .. ؟

فهز "بوارو" كتفيه في غير اكتراث وقال :

– هذا ما قرره رجال الشرطة .

– معنى هذا الرد أن لك رأيا آخر .. ؟

ثم أردفت :

– وإلى أي شيء يستندون في اتهامه .. ؟

– الدافع إلى الجريمة بالتأكيد كما هو المألوف ، فهل يورثه موتها شيئا . ؟

– مليونان من الجنيهات .

فعادت "لينوكس" تسأل في ذكاء :

– ولكن الدافع لا يكفي لا بد أن ثمة شيئا آخر .

فقال "بوارو" :

– لقد عثرنا في مقصورتها على علبة سجائر جلدية منقوش عليها حرف "الكاف" ، ولكنها ليست ملكا للسيدة "كيترنج" . كما أن هناك شخصين شاهداه وهو يدخل مقصورتها ويغادرها ، وذلك قبيل دخول القطار محطة "ليون" .

فتساءلت :

– ومن يكون هذان الشخصان ؟

فأجاب :

– صديقتك الآنسة "جراي" ، وأيضا الآنسة "ميريل" الراقصة .

– وما الذي قاله "ديريك" في هذا الشأن .. ؟

فقال "بوارو" :

– لقد أنكر إنكارا تاما أنه دخل المقصورة

فهتفت "لينوكس" وقد زوت ما بين عينيها :

– يا له من أحمق .. ! إنك قلت إنه دخل المقصورة قبيل وصول القطار إلى محطة "ليون" ، فهل عرفتم متى قتلت .. ؟

فأجابها "بوارو" :

– إن قرار الأطباء في مثل هذه الأحوال لا يمكن أن يكون دقيقا محددا ، فهم يعتقدون أنه ليس من المحتمل أن يكون الموت قد حدث بعد مغادرة القطار محطة "ليون" . أمانحن فنعلم أن السيدة "كيترغ" كانت ميتة بعد دقائق من مغادرة المحطة .

– وكيف عرفتم هذا .. ؟

– لقد دخل بعضهم إلى مقصورتها فوجدوها ميتة .

– ومع ذلك لم يبلغوا ملاحظ القطار .. ؟

– كانت لديهم أسباب تحملهم على الكتمان .

– وهل عرفت أنت هذه الأسباب .. ؟

فأجابها "بوارو" :

– أظن أنني أعرفها .

وران عليهما الصمت برهة ، ومضت "ليـنوكس" تتدبر كلمات "بـوارو" ، وتحاول أن تنفذ إلى مغزاها .

وأخيرا أشرق وجهها وبرقت عيناها وقالت :

– أتراك تعتقد أن الذي قتلها شخص كان يستقل القطار .. ؟ ومع ذلك فثمة افتراض آخر : عندما توقف القطار في محطة "ليون" تسلل إلى مقصورتها شخص

مجهول ، فخنقها وسرق الجواهر ، ثم هبط من القطار دون أن يفطن إليه أحد ، أي أنها قتلت في أثناء وقوف القطار في محطة "ليـون" . وتأسيسا على هذا كانت السيدة "كيترغ" على قيد الحياة عندما دخل " ديريك" مقصورتها قبل الوصول إلى محطة "ليون" ، وكانت ميتة عندما دخل الآخرون المقصورة بعد مغادرة القطار المحطة .

وتأملها "بوارو" برهة طويلة ، ثم قال :

– إنك يا آنسة على قدر كبير من الذكاء .. إن تحليلك هذا قريب من الحقيقة إلى حد كبير .

ثم نهض واقفا يزمع الانصراف فسألته "ليـنوكس" :

– وما هو موقف "ديريك" في رأيك .. ؟

فأجاب – وهي تشيعه إلى الباب –:

– إنني غير مقتنع بإدانته .

*****

حملته السيارة إلى كازينو "مونت كارلو" طبقا للموعد المضروب ، فوجد السيد "بابولوس" وابنته في انتظاره .

جلسوا يتناولون العشاء ، ويتسامرون في مرح وابتهاج . وقال السيد "بابولوس" :

– ترى هل راهنت على "الجواد" الذي زودتك باسمه .. ؟ أعني "المركيز" .

وأومأ "بوارو" برأسه إيجابا ، فسأله اليوناني ..

– وهل انتهيت إلى نتيجة معينة .. ؟

– إنني لا أزال في بداية الطريق .

ونهضوا عن المائدة ، ومضوا إلى القمار فاختار اليوناني إحدى موائد "الروليت" ،

على حين رافق "بوارو" ابنته "زيلا" إلى مائدة أخرى .

وقالت "زيلا" فجأة :

– يحسن بي ان أكف عن اللعب مادام الحظ لا يواتيني .

ودار "بوارو" بعينيه في أرجاء القاعة ، ثم قال :

– أين أبوك يا ترى ..؟ إنني عاجز عن تبين مكانه في هذا الزحام .

ثم أردف :

– سآتيك بمعطفك ونخرج إلى الحديقة .

ولكنه لم يتجه إلى غرفة المعاطف مباشرة ، وإنما مضى يبحث عن اليوناني العجوز ، فلمحه في البهو الكبير يتحدث إلى إحدى السيدات .

ودار "بوارو" حول الغرفة ، وانزوى على قرب منهما دون أن يفطن إليه اليوناني وصاحبته . وكانت هذه السيدة هي "ميريل" الراقصة .

وسمع الراقصة تقول :

– يجب أن تمنحني مهلة . فسوف أستطيع ان أدبر لك المبلغ .

فأجابها اليوناني :

– إنني رجل لا أحب الانتظار .

– إنها مهلة قصيرة . . . أسبوع فقط .

وتململ اليوناني في وقفته ، وإذا به يرى "بوارو" على قيد خطوة منه وفي وجهه سمات البراءة .

وغمغم "بوارو" :

– آه . . ! أهذا انت يا سيد "بابولوس" ؟ لقد كنت أبحث عنك . اتسمح لي بان أتجول في الحديقة قليلا مع الآنسة "زيلا" ..؟

ثم انسحب متجها إلى غرفة الثياب ، وحمل إلى "زيــلا" معطفها ، وخرجا يتمشيان في الحديقة .

وقالت "زيلا" :

– لقد اختار اليائسون من الخاسرين على مائدة اللعب هذا الركن مكانا ينتحرون فيه .

فقال "بوارو" :

– من الحماقة أن ينتحر المرء لانه خسر في القمار ، وإن كنت أستطيع أن أفهم أن ينتحر المرء لفشله في الحب .

فاطلقت "زيلا" ضحكة مرحة وقالت :

– إن هذا منك لرأي غريب يا سيد "بوارو" .

فقال :

– لا تسخري من الحب يا آنسة .

فقالت :

– إنني لم أعد الآن أهلا للحب يا سيدي. أنسيت أنني الآن في الثالثة والثلاثين وقد كنت في السابعة عشرة يوم اتصلنا بك فاستعدت الجوهرة التي سرقت من أبي؟

فقال :

– إن أباك لا يزال يجهل سر اختفائها ، لقد ألح عليّ بان أكاشفه بالتفاصيل ، ولكني أبيت ، وقلت له : حسبك أنك استعدت جوهرتك . . . فهل تعرفين يا آنسة لم كتمت السر دونه . . ؟

فأجابته "زيلا" في نبرة غاضبة :

– لا . .

– هل نسيت "أنتونيو بيريزيو" الشاب الوسيم الذي كان يعمل في متجر أبيك . . ؟

لقد شعرت بالعطف عليه منذ اللحظة الأولى . . لقد جاء يعمل مساعدا لأبيك،

وبسبب وسامته وذلاقة لسانه استطاع بسهولة أن يخلب قلب ابنة رب العمل . وكانت طفلة لم تبلغ السابعة عشرة .

واستطرد "بوارو" :

– وحدث إذ ذاك أن أودع أحد الأمراء لدى أبيك جوهرة نادرة ، وكان طبيعيا أن تحدث الفتاة صاحبها عن هذه الجوهرة النادرة . واستطاع الفتى أن يغري فتاته بأن تريه الجوهرة النادرة ، فعرف مخبأها السري ، ولم تمض ساعات حتى اختفت الجوهرة . واستولى الرعب على الفتاة المسكينة . أتخبر أباها بأنها هي التي دلت "أنطونيو" على مخبأ الجوهرة فتفضح سرها، أم تكتم الأمر دونه . وفجأة ظهر العبقري "بوارو" على المسرح ، فاستعاد الجوهرة المختفية .

واستدارت إليه "زيلا" قالت في انفعال وحشي :

– إذن فقد عرفت كل شيء إذ ذاك ، فهل هو "أنطونيو" الذي كاشفك بالأمر..؟

فأجابها "بوارو" في هدوء :

– لم يكاشفني أحد بشيء .. كان الأمر كله استنتاجا منطقيا .

وانقضت بضع دقائق وهما يسيران في الحديقة صامتين ، لا ينبس أحدهما بكلمة .

وفجأة قالت الفتاة :

– لا شك في أنك تريد مني شيئا ، وإلا لما سردت علي هذه القصة .

وفي بساطة أجاب "بوارو" :

– إنني أنشد مساعدتك يا آنسة .

– وإذا أبيت أن أساعدك مضيت إلى أبي ورويت له قصة الجوهرة المفقودة.؟

– إن "هيركيول بوارو" ليس بالرجل المبتز .. إن أبيت مساعدتي انصرفت إلى شأني . كل ما هناك أنني أسديت إليك خدمة ، وأعرف أن من طباع المرأة أنها تحب أن ترد الجميل .

وران عليها الصمت برهة ، ثم قالت "زيلا" :

– إنك قلت لأبي إن موضوع الجواهر لا يهمك في شيء ، وإن كل ما يعنيك هو اكتشاف القاتل .

– هذا صحيح ... إذا كان لأبيك ضلع في الجواهر فلن يمس بسوء .. القاتل وحده هو الهدف .

وبعد سكتة قصيرة عادت الفتاة تقول :

– إنني أصدقك ، ولذلك سأفضي إليك بمعلوماتي ... جاء أبي إلى "نيس" بشأن "جذوة النار" ...

وسألها "بوارو" :

– هل سبق لك أن رأيت "المركيز" .. ؟

– لقد تلصصت عليه مرة أو مرتين من ثقب الباب .

– حقا .. ؟ إذن صفيه لي .

– لا أستطيع ، فهو دائما يستر وجهه بقناع عندما يزور أبي .

فسألها "بوارو" :

– أهو شاب أم عجوز .. ؟

– إن شعره أبيض ، ولكن لعله يتخذ شعرا مستعارا ، ولكن مشيته وحركاته توحي بأنه شاب ، وكذلك صوته .

فقال "بوارو" :

– هل يمكن أن تميزي صوته إن سمعته مرّة أخرى .. ؟

وأومأت برأسها إيجابا وقالت :

– أعتقد هذا .

ثم أردفت :

– قلت لك إن أبي اشترى "جذوة النار" هنا في "نيس" ، وإنني و إن كنت لم أر اللص الذي باع اليواقيت إلى أبي ، إلا أنني على يقين من شيء واحد .

فسألها "بوارو" في لهفة :

– وما هو هذا الشيء يا ترى .. ؟

– إن الذي باع "جذوة النار" إلى أبي امرأة لا رجل ..

- 29 -

تلقت "كاترين جراي" خطابا من قريبتها "سان ميد" ، ممهورا بتوقيع عجوز من معارفها تدعى "إميليا فاينر" .

كان خطابا عاديا ، ينطوي على لمسات تهز القلب . واختتمت "إميليا فاينر" الخطاب بقولها :

لو انك لم تصيبي هذه الثروة الطائلة ، لاتخذتك رفيقة لي ، حتى أحظى بعطفك وحنانك في أيامي الأخيرة . واعلمي على أية حال ان بيتي مفتوح لك في أية لحظة تشائين ، فطالما قرأت عن رجال يخدعون الفتيات ويسلبونهن ثرواتهن وإن كنت أعرفك متزنة حصيفة .

لقد رأيت صورة لك مع قريبتك الليدي "تامبلين" في إحدى المجلات: وضممتها إلى قصاصاتي "إميليا فاينر" .

قرأت "كاترين جراي" الخطاب مرتين ، والآنسة شغاف قلبها ببساطته وما تنطوي عليه من إخلاص ، وخامرها شعور بالحنين إلى قريتها و صديقاتها القديمات .

وفي هذه اللحظة دخلت عليها "لينوكس" ، فانتشلتها من شرودها . وقالت لها "لينوكس" :

– لقد اتصلت بصديقك "هيركيول بوارو" ودعوته إلى تناول العشاء معنا هنا في "نيس" ، وزعمت له أن الدعوة موجهة إليه منك انت .

فقالت "كاترين" :

– لا بأس فإنني أميل إليه .

وحين وصلت الفتاتان إلى مطعم "نجرسكو" وجدتا "بوارو" في انتظارهما، وأغرقهما بعبارات المجاملة والإطراء .وفجاة وهم يرتشفون القهوة انقضت ؛ "لينوكس" على "بوارو" بهذا السؤال :

– ما هي الأخبار الآن ..؟

فأجاب :

– الأمور تسير في مجراها المألوف .

– وهل ترضى لنفسك وأنت "بوارو" أن تدع الأمور تسير في مجراها العادي..؟

وتأمل الشرطي "لينوكس" بنظرة حزينة و قال :

– إن القدر هو الذي يدبر الأمور يا آنسة .

وهتفت "لينوكس" :

– ها هو ذا السيد "كايتون" . إنه مع السيد "فان ألدن" ، فهل تأذنون لي بالانسحاب لأنني أريد أن أستفسر من الميجور "كايتون" عن شيء ما .

ومال "بوارو" إلى ناحية "كاترين" وقال متسائلا :

– إنك شاردة الذهن فما الذي يشغل خاطرك ؟!

وأجابت :

– إنه الحنين إلى الوطن .

ودفعت إليه بالخطاب الذي تلقته صباح اليوم من "إميليا فاينر" ، فسألها وقد فرغ من قراءته :

– إذن فأنت تنوين أن تعودي إلى "سان ميد" .. ؟

فأجابت :

– لا .. ما الذي يدعوني إلى العودة .. ؟

واستأذنها بضع دقائق ، ولحق بـ "لينوكس تامبلين" . وهي تتحدث إلى السيد

"**فان ألدن**" وسكرتيره "**كايتون**" .

واغتنم "**بوارو**" فرصة ، وسحب "**كايتون**" من ذراعه بعيدا بضع خطوات ، وقال له :

– إن السيد "**فان ألدن**" يبدو مريضا .

– وهل يدهشك هذا .. ؟ إن القبض على زوج ابنته "**ديريك كيترنغ**" فضيحة مست كرامته . . . إنه الآن نادم على انه استدعاك لتحقيق القضية .

– ومتى تنوون العودة إلى "**إنجلترا**" .. ؟

– بعد غد .

وتردد برهة ثم أردف قائلا :

– أرجو ان تخبر الآنسة "**جراي**" بانكم عائدون إلى "**إنجلترا**" بعد غد .

وبدت الحيرة في وجه "**كايتون**" ، وغمغم قائلا :

– و ما شانها بذلك ..؟ ومع هذا ساخطرها بسفرنا .

وبعد لحظات مضوا جميعا إلى حيث كانت "**كاترين**" جالسة ، وأمضوا بعض الوقت يتبادلون حديثا عابرا . ثم انصرف "**فان ألدن**" يرافقه سكرتيره . وأخيرا انحنى "**بوارو**" امام الفتاتين ، واستدار منصرفا ، على انه ماكاد يبتعد حتى لا حقه صوت "**كاترين**" :

– السيد "**بوارو**" . . . أعتقد انك كنت على حق . . . نعم . إنني عائدة إلى "**إنجلترا**" على الفور .

وحملق "**بوارو**" إلى عينيها برهة وقال :

– والآن عرفت سبب رحيلك المفاجئ .

فهزت "**كاترين**" رأسها . وقد تضرج وجهها .

*****

رأى "**هيبوليت**" – وصيف الكونت "**لاروش**" وهو يطل من النافذة – رجلا كهلا يجتاز الحديقة متجها إلى ناحية البيت ، فقال لزوجته "**ماري**" :

– لا أعتقد أن هذا الرجل شرطي .

– فعلا ، فإن سمات رجال الشرطة لا تبدو عليه .

واستطرد "**هيبوليت**" :

– لحسن الحظ ان رجال الشرطة لم يضايقونا عند استجوابهم لنا . ولولا أن "**الكونت**" نبهنا إلى ما يجب ان ندلي به لقلنا الحقيقة .

وعلا رنين الجرس ، فهرع "**هيبوليت**" إلى الباب ليستقبل الزائر الذي رآه منذ لحظات يعبر الحديقة ، فانباه أن "**الكونت**" متغيب عن البيت ، فقال له الطارق :

– لكنني أريد ان أتحدث إليك انت يا "**هيبوليت فلافيل**" وإلى زوجتك "**ماري**" ، أليس هذا هو اسماكما ..؟

– تماما يا سيدي ، ولكن . .

بيد أن الزائر كان قد دلف إلى الردهة وهو يقول :

– إن زوجتك في المطبخ بالتاكيد .. إنني ذاهب إليها .

وقبل أن يسترد "**هيبوليت**" انفاسه كان الزائر الغريب قد اجتاز الباب الذي حدس انه يؤدي إلى المطبخ ، ففتحه ودخل ، فتطلعت إليه "**ماري**" فاغرة فمها دهشة .

وقال الزائر الغريب – وهو يجلس على أحد المقاعد – :

– إنني "**هيركيول بوارو**" . . . أعظم شرطي سري في العالم .

واستطرد "**بوارو**" :

– لقد جئت لأوجه إليكما سؤالا . . . لم كذبتما على الشرطة . . .؟

وهتف "**هيبوليت**" محتجا :

– سيدي . . ! إنني لم أكذب أبدا على الشرطة .

فهز "**بوارو**" راسه عدة مرات وقال :

– يبدو أن ذاكرتك على غاية من الضعف ... إنك فعلت هذا العديد من المرات... سبع مرات على الأقل .

وتناول من جيبه مفكرة صغيرة وأخذ يقرأ منها ، وفي صوت هادىء أخذ يشير إلى المرات التي استجوبت فيها الشرطة "هيبوليت" خلال الأعوام الأخيرة .

ثم أردف :

– بيد أنني ما جئت لأحاسبك على الأكاذيب الماضية ، وإنما جئت أحاسبك على آخر أكذوبة لك .. لقد قررت أمام الشرطة أن الكونت "دي لاروش" وصل إلى هذه الفيلا صباح يوم 14 كانون الثاني (يناير) . أليس كذلك يا "ماري" ..؟

وأومأت "ماري" مؤمنة على ما قاله "بوارو" .

وخبط "بوارو" المنضدة بقبضة يده في عنف وقال :

– إنكما تكذبان ، ولكن الله الذي يعلم كل شيء يعلم أنكما كاذبان ، وأنا أيضا أعرف هذا .

وقال "هيبوليت" :

– أؤكد لك يا سيدي أن "الكونت" غادر "باريس" مساء يوم الاثنين و ..

فقاطعه "بوارو" :

– هذا صحيح ... ولكنه لم يرجع إلى الفيلا صباح الثلاثاء ، وإنما رجع صباح الأربعاء .

فقال "هيبوليت" في عناد وإصرار :

– إنك مخطئ يا سيدي .

– إذن فلندع القانون يتخذ إجراءاته ضدكما .

ثم أردف وهو ينهض واقفا :

– سيقبض عليكما باعتباركما شريكين في قتل السيدة "كيترنغ" ، السيدة الإنجليزية التي قتلت في القطار .

وشحب وجه "هيبوليت" وهتف :

– جريمة قتل ..!

وبدأت "ماري" تبكي وتغمغم :

– رحماك يا ربي ..!

وقال "بوارو" :

– إصراركما على هذه الأكذوبة قد يؤدي بكما إلى المشنقة .

واستدار متجها إلى الباب .

وسمع مسمعه صوت نابض بالانفعال يهتف به :

– سيدي .. لحظة واحدة ... لم أكن أظن أبدا أن الموضوع مرتبط بجريمة قتل .. كنت أحسب الأمر متعلقا بسمعة سيدة على علاقة بـ "الكونت"

واستدار إليه "بوارو" قائلا في غضب :

– للمرة الأخيرة أسألكما : متى رجع "الكونت" إلى الفيلا ..؟ صباح الثلاثاء أم صباح الأربعاء ..؟

فأجاب "هيبوليت" وهو يغص بريقه :

– صباح الأربعاء يا سيدي .. إنني لا أحب أن أتورط في جريمة قتل فلا داعي للكذب .

وقال "بوارو" في نفسه وهو يغادر الفيلا :

– لقد صدق حدسي الأول ، فهل أصيب في الحدس الثاني ..؟

في نفس اليوم مضى "بوارو" إلى الراقصة "ميريل" . وحين دخل عليها ألفاها تذرع الغرفة رائحة غادية ، وهي في انفعال عصبي يتجلى واضحا في أساريرها .

وهتفت به "ميريل" في عصبية وغضب :

– والآن ما الذي تريده مني ..؟ ألا يكفيك أنك جعلتني أغدر بحبيبي المسكين "ديريك" ..؟

- سؤال واحد يا آنسة ... بعد مغادرة القطار محطة **"ليون"** ، عندما دخلت إلى مقصورة السيدة **"كيترغ"** .

- ماذا تقول ..؟ إني لم أدخل إلى مقصورتها أبدا .

فتطلع إليها **"بوارو"** بنظرة عتاب ، واستطرد قائلا :

- عندما دخلت إلى المقصورة ووجدتها ..

فقاطعته للمرة الثانية :

- قلت لك إنني لم أدخلها .

وتحول إليها **"بوارو"** ، وصرخ فيها غاضبا .

- إنني أعرف ما حدث كأنني كنت حاضرا .. إنك دخلت إلى مقصورتها ، ووجدتها ميتة ... وإياك أن تكذبي عليّ ، وإلا أوقعت نفسك في مأزق لا فكاك منه ..

واستطرد **"بوارو"** :

- ومع ذلك فثمة نقطة واحدة ما زالت غامضة تثير حيرتي ... ترى هل عثرت على ما كنت تنشدين ، أم أن شخصا آخر سبقك إليه ؟!

وصاحت **"ميريل"** :

- لن أجيب عن أي سؤال .

ثم أخذت تصرخ وارتمت على الأرض تنتحب وتستنجد . وهرعت إليها إحدى الخادمات مستفسرة ، فلم يجد **"بوارو"** بدا من الانصراف ، ولكنه كان يبدو راضيا.

- 30 -

كانت **"كاترين"** تطل على الحديقة من نافذة مخدع الآنسة **"فاينر"** في قرية **"سان ميد"** ، على حين كانت الآنسة **"فاينر"** نفسها راقدة في فراشها ، وهي تفض

الرسائل التي حملها إليها بريد ذلك الصباح . وكان من بينها رسالة معنونة باسم **"كاترين"** ، فدفعتها إليها .

وقالت الآنسة **"فاينر"** :

- إن لبعض أهل القرية ألسنة حدادا ... لقد زعموا أن الثروة التي هبطت عليك ستدير رأسك ، وتجعلك ترتدين ثيابا فاضحة متحللة ، ولكنني قلت لهم إن **"كاترين"** فتاة متزنة ، ولن تفعل شيئا من هذا القبيل ، ولن تحاول أبدا أن تحاكي الليدي **"تامبلين"** في سلوكها .

فقالت **"كاترين"** باسمة :

- إذن فقد أقمت من نفسك محامية تدافعين عني أثناء غيابي .

- يمكنك أن تقولي هذا .. ولقد أسعدني أن أراك تعودين إلينا بنفس ثيابك المحتشمة وسلوكك المتزن .

ثم استطردت :

- منذ بضعة أيام كنت أقلب مجموعة القصاصات التي اعتدت أن أقتطعها من الصحف وأحتفظ بها ، وكانت من بينها عدة قصاصات عن الليدي **"تامبلين"** والمستشفى الذي كانت تشرف عليه في أثناء الحرب ولكنني عجزت عن أن أتبينها بسبب ضعف بصري ، فهل لك أن تأتيني بها ..؟

إنها في علبة صغيرة في درج المكتب .

وعادت إليها **"كاترين"** بصندوق القصاصات ، وأخذت تتأملها وتتفحصها، ثم تناولت بعض القصاصات وقالت :

- هذه صورة الليدي **"تامبلين"** بمناسبة تحويل بيتها في **"نيس"** إلى مستشفى للضباط أثناء الحرب ... وهذه قصاصة أخرى عن سرقة جواهرها من مخدعها في المستشفى ، وكان من بينها بعض الماسات النادرة .

واستطردت **"كاترين"** وهي تمعن النظر في إحدى القصاصات :

– وهذه صورة أخرى لليدي "تامبلين" مع ابنتها "لينوكس" .

وتناولت الآنسة "فاينر" القصاصة ، ومضت تتأملها . وقالت :

– إنها في الحق سيدة جميلة فاتنة .

وتناولت "كاترين" قصاصة أخرى وقرأت ما هو مسطور تحتها :

الليدي "تامبلين" إحدى نجوم المجتمع الراقي وهي تقيم الآن في فيلا "كاب مارتين" في "نيس" ، تصحبها ابنة عمها "جراي" التي آلت إليها ثروة ضخمة

وهتفت الآنسة "فاينر" :

– آه . هذه هي الصورة التي كنت أبحث عنها ... إنني أريدها لأغيظ بها اللاتي يزعمن أنك لا تمتين إلى الليدي بأية صلة من القرابة .

ولم تجب "كاترين" ، وإنما فضت الخطاب الذي ورد باسمها وبعد أن فرغت منه قالت :

أريد أن أسألك منة يا آنسة "فاينر" .. إن لي صديقا جاءني منه هذا الخطاب ، يرجوني أن أستقبله هنا ، فماذا ترين في هذا ..؟

– ومن يكون هذا الرجل ..؟

– إنه يدعى الميجور "كايتون" ، ويعمل سكرتيرا لمليونير أمريكي اسمه السيد "فان ألدن" .

– سكرتير لمليونير أمريكي ..! هذا رائع .. !

– أنا لا مانع عندي .

ولاذت الآنسة "فاينر" بالصمت برهة ثم قالت :

– أرجو يا ابنتي "كاترين" أن تستمعي إليّ ... إنني أعرف أنك فتاة حكيمة ولكني أخشى أن يدير أحد الرجال رأسك ويوقعك في شباكه . وأغلب ظني أن هذا الرجل لا يسعى إلا وراء مالك ...

إن سكرتير المليونير لا يعدو عادة أن يكون شابا وسيم الوجه مهذب السلوك ،

ولكن لا شيء أكثر من هذا ... فإذا استقر رأيك على أن تتزوجيه فكوني حريصة على مالك .

وشكرتها "كاترين" على هذه النصيحة ، ثم سألتها عما إذا كانت ستأذن لها باستقباله في بيتها .

وأجابتها الآنسة "فاينر" :

– ولِمَ لا مادمت راغبة في استقباله ؟. ولك أيضا أن تدعيه إلى تناول الطعام .

– شكرا لك ... سأتصل به تليفونيا وأدعوه إلى تناول الغداء .

وصل الميجور "كايتون" إلى بيت الآنسة "فاينر" ، والشمس مشرقة تبعث الدفء في الأوصال . وأقبل على "كاترين" يحييها في حرارة وقال :

– أرجو ألا تكوني قد استأت من حضوري .. وألا يكون في هذا ما ضايق صديقتك التي تقيمين عندها .

فأجابته "كاترين" :

– إنها سيدة طيبة القلب .

وبعد أن فرغوا من الغداء ، خرج "كايتون" و"كاترين" يتمشيان في القرية بعد أن أوت الآنسة "فاينر" إلى فراشها .

وبعد قرابة الساعة رجعت "كاترين" وحدها إلى البيت سألتها الآنسة "فاينر" :

– هل انصرف صديقك ..؟

– نعم ، وهو يشكرك كثيرا على استضافتك له .

– لا داعي للشكر يا ابنتي .

ثم أردفت :

– يبدو أنني أخطأت في حق هذا الرجل .. كنت أحسبه يسعى وراء أموالك ، ولكنني لاحظت وهو ينظر إليك أن عينيه كانتا ناطقتين بالحب .

- 31 -

دعا "هيركيول بوارو" إلى مائدته السيد "جوزيف أرونز" ولما فرغا من الطعام وقال "أرونز" لمضيفه :

– لقد أخبرتني أنك تريد أن تستوضحني .

– لقد قلت في نفسي إن صديقي "جوزيف أرونز" هو الوحيد الذي يعرف كل شيء يدخل في نطاق المسارح ..

– أصبت ... فسل ما بدا لك عن أي ممثل أو ممثلة

– ما الذي تعرفه عن امرأة شابة تدعى "كيد" ..؟

فتريث "أرونز" برهة مفكرا ثم قال :

– إنها فتاة بارعة ، تغني وترقص ، وبصفة خاصة تجيد تقليد الشخصيات المعروفة . كانت المسارح تتهافت على التعاقد معها ، لا لأنها ممثلة شهيرة ، وإنما بسبب قدرتها على تقليد الشخصيات الشهيرة .

– ولكنها اختفت أخيرا من المسارح ولم تعد تظهر .

– لقد سافرت إلى فرنسا في صحبة نبيل فرنسي واسع الثراء ، وكان ذلك منذ ثلاث سنوات .

– أتعرف اسم الرجل الذي صحبته إلى "باريس" ..؟

– نعم .. إنه "مركيز" بكل تأكيد ، هذا ما أعرفه عنه .

وعاد "بوارو" يسأل مضيفه :

– إنك تعرف "ميريل" بالتأكيد ..؟

– "ميـــريل" الراقصة ..؟ إنها مسرفة إلى حد لا يحتمل .. وتظل بالرجل تستنزف ماله حتى يفلس . وهي عصبية جدا سريعة الغضب والهياج .

وسأله "بوارو" :

– ومتى ظهرت على المسارح ..

– منذ أقل من ثلاثة أعوام ، وأحد "الدوقات" هو الذي وضعها تحت رعايته .

– هذا نبأ لم أكن أعرفه من قبل .

– وهي مولعة بالجواهر إلى درجة الجنون ، وقد بلغني أنها تتحلى الآن بياقوتة حمراء في حجم بيضة الحمامة .

فقال "بوارو" في دهشة :

– ياقوتة في حجم بيضة الحمامة ..! هذه معلومات طريفة ..!

واستطرد "أرونز" ضاحكا :

– ولكن ما يدرينا أن هذه الياقوتة ليست إلا قطعة من الزجاج الأحمر .

فالمرأة مولعة بالكذب فيما يتصل بالجواهر ومع ذلك فإنها تزعم أن هذه الياقوتة هي الجوهرة الشهيرة المعروفة باسم " جذوة النار" . فقال "بوارو" في صوت هامس :

– إنني أعتقد أنها قطعة من الزجاج .

- 32 -

قال " هيركيول بوارو" يخاطب "كاترين جراي" ، وهما يتناولان الطعام في فندق "سافوي" .

– ترى هل قابلت أحدا من أصدقاء "الريفييرا" بعد عودتك إلى إنجلترا ..؟

فأجابت :

– نعم .. قابلت الميجور "كايتون" .

وتأملها بنظرة عميقة فاحصة جعلتها ترخي عينيها .

ثم أردف :

– سأحاول أن أقابل السيد " فان ألدن" .

وبعد لحظات قالت :

– أتأذن لي بأن أوجه إليك بعض الأسئلة عن "القطار الأزرق" ..؟

– ولم لا ..؟ إنه جريمتنا المشتركة .

وسألته :

– ما الذي كنت تفعله في **"باريس"** ..؟

– كنت على اتصال بالسفارة الروسية .

ثم استرسل قائلا :

– والآن سأزيدك إيضاحا ... إنك تدركين أنني أعتقد أن **"ديريك كيترغ"** بريء .

– ولذلك أثار اعتقاله دهشتي .

– كان هذا هو قرار قاضي التحقيق ، وإن كنت لا أنكر أن تحرياتي هي التي أدّت إلى إثارة الشبهات ضده ، أما مفتش الشرطة فلا يزال يحاول إلصاق التهمة بـ الكونت **"دي لاروش"** .

– وما هو رأيك الشخصي يا سيد **"بوارو"** ..؟

– إنني لا أزال أسعى وراء الحقيقة . إنني غير مقتنع بأن السيد **"كيترغ"** هو القاتل ، وإني لأتمنى أن يكون رجال الشرطة مخطئين ، وأن أكون أنا على حق ، وذلك إكراما لخاطر فتاة تحب **"ديريك كيترغ"** ، فهل تعرفين من تكون هذه الفتاة..؟

فأجابت :

– نعم ... أعتقد أنني أعرف .

واستطرد **"بوارو"** :

– إن القرائن كلها تشير إلى **"كيترغ"** ولكن ثمة شيئا واحدا ما زال يحيرني ، وأعني بذلك وجه الضحية المشوه ... إن **"كيترغ"** ليس بالشخص الذي يشوه وجه ضحيته بعد أن قتلها ... إن الرد على هذا السؤال هو الذي سيميط اللثام عن الحقيقة .

وسألته :

– ولم ذهبت إلى السفارة الروسية ؟

وأجاب :

– لأنتزع بعض المعلومات المهمة من شخص هناك بعد أن هددته بالتشهير به في الصحف .

وابتسمت **"كاترين"** قائلة :

– إنني أعتقد أن كل ما حدثتني به ملفوف بالغموض ...

واستطرد **"بوارو"** :

– إن هذا الرجل هو الطرف الفعال في صفقة قلادة اليواقيت التي اشتراها المليونير الأمريكي . وقد استطعت أن أنتزع منه الحقيقة كلها . فعرفت أين تمت الصفقة ، ومن هو العجوز الشائب الشعر الذي كان يتمشى على الإفريز بخطوات رجل في عنفوان الشباب ، وقد رمز إلى هذا الرجل باسم **"المركيز"** .

– وهل عدت إلى **"لندن"** لتفضي إلى السيد **"فان ألدن"** بهذه المعلومات..؟

– بل عدت لأقابل رجلين سعيا وراء بعض المعلومات ، أحدهما وكيل مسرحي ، والثاني طبيب في شارع **"هارلي"** .

واستطرد :

– لقد كنت أسائل نفسي طوال الوقت عما إذا كان القاتل هو نفسه لص الجواهر... وأخيرا عرفت الجواب .

وإذ لاذ **"بوارو"** بالصمت أدركت **"كاترين"** أنه لن يفضي إليها بشيء جديد ، فنهضت واقفة وهي تقول :

– أتأذن لي بالانصراف ..؟ لقد حان موعد فطوري .

فأومأ برأسه موافقا ، ثم قال :

– اطمئني يا آنسة ، فاللغز يوشك بأن ينجلي .. كوني مطمئنة فقد أشرفنا على النهاية .

- 33 -

دخل السكرتير يخطر المليونير الأمريكي بقدوم "هيركيول بوارو" ، فتلقاه في برود وهو يقول في نفسه : ليتني لم أستدعه لتحقيق القضية ، فلولاه لما ثارت هذه الفضيحة حول ابنتي وزوجها .

وقال "بوارو" :

– لنفترض يا سيد "فان ألدن" ان "ديريك كيترنغ" بريء لم يقتل زوجته..؟

وحملق إليه الرجلان دهشة واستغرابا : وقال "فان ألدن" :

– ماذا تقول ..؟

– هناك كثيرون يشاطرونني هذا الرأي .. إن الذي يعنيني هو ان اعرف هل يسوؤك أن تثبت براءته ..؟

– بل يسرني أن يكون بريئا .

فتطلع "بوارو" إلى السقف برهة ثم قال :

– هناك قرائن تشير إلى ان الكونت "دي لاروش" ربما كان هو القاتل .. لقد استطعت على أية حال ان أهدم دليل النفي الذي أبداه ... لقد أثبت انه رجع إلى داره صباح الأربعاء لا الثلاثاء كما زعم .

– ولكن اليواقيت التي وجدت في حوزة "الكونت" كانت مجرد تقليد متقن .

– لعلك تريد ان تتساءل عما يدعوه إلى قتل الضحية ما دام لم يسرق الجواهر..؟ ولكن لم لا نقول إن احدا غيره قد سبقه إلى الاستيلاء على القلادة.؟

فهتف "كايتون" :

– هذه نظرية جديدة تماما يا سيد "بوارو" ..

وقال "فان ألدن" :

– وهل تؤمن انت بهذه النظرية .؟

– إنها حتى الآن لا تعدو ان تكون مجرد نظرية لم يقم الدليل على صحتها بعد ،

ولكنها تستحق على الأقل البحث والتمحيص ... يجب أن تصحبني يا سيد "فان ألدن" إلى جنوب فرنسا حيث مسرح الجريمة لنجري مزيدا من التحريات .

– وهل من الضروري أن أصحبك ..؟

وأومأ "بوارو" إيجابا وقال :

– سنرحل غدا صباحا .. وفي القطار الأزرق .

- 34 -

اخذ القطار يشق طريقه بسرعة مخيفة ، و "فان ألدن" و "بوارو" و "كايتون" لائذون بالصمت لا يتكلمون . وقد حجز المليونير لنفسه ولسكرتيره مقصورتين يصل بينهما باب داخلي ، كما فعلت ابنته مع وصيفتها من قبل، على حين اتخذ "بوارو" مقصورة في أقصى العربة ،وفي نيته أن يعيد تصوير الجريمة كما حدثت .

وما كاد القطار يغادر المحطة حتى ارتد "بوارو" شعلة من الحركة والنشاط ، فاتخذ لنفسه في البداية دور الوصيفة ، فحبس نفسه في المقصورة الداخلية، وأغلق الباب الفاصل . وهذا ما فعلته الوصيفة ليلة الحادث حين فوجئت السيدة "كيترنغ" بزوجها في القطار وتجلت على وجهها الدهشة . ودرس "بوارو" بعد ذلك الفروض المختلفة التي تتيح لإنسان أن يختبئ في المقصورة الإضافية دون أن يفطن ملاحظ القطار إلى وجوده .

وفجاة أمسك "بوارو" بذراع "فان ألدن" وهتف قائلا :

– يا إلهي .. كيف فاتتني هذه الفكرة ..؟ يجب أن نقطع رحلتنا وأن نعود إلى "باريس" ... فلنسرع بإنزال حقائبنا إلى الرصيف قبل ان يتحرك القطار واتصاع إليه "فان ألدن" وسكرتيره بلا تردد ، وقبل أن يغادر القطار محطة "ليون" كان الثلاثة على رصيف المحطة وحقائبهم في أيديهم .

وقال "فان ألدن" :

– يجب أن نسرع فنستقل القطار المسافر إلى "باريس" .

وهتف "بوارو" :

– أوه .. ماأشد غبائي .. إننا سنعود إلى القطار الأزرق هيا .. وإلا فاتنا القطار .

وكان "كايتون" آخر من وثب إلى القطار الأزرق وقد بدأ يتحرك فعلا . ولم يفعل "فان ألدن" شيئا وإن نم وجهه على السخط ، تبرما بتصرفات "بوارو" المتناقضة . بيد أنه قال لسكرتيره وقد انفرد به في مقصورته :

– يبدو أن الرجل في حيرة لا يدري ما يفعل .

واقبل عليهما "بوارو" بعد لحظات يعتذر عن اضطراب تصرفه ، إذ أنزلهم من القطار متعجلين ، ثم يسالهم العودة إليه قفزا قبل أن يتحرك .

وبناء على اقتراح "بوارو" تناولوا العشاء في مقصورة "فان ألدن" بدلا من مركبة الطعام وقال "فان ألدن" :

– إن تصرفاتك تثير حيرتي يا سيد "بوارو" فهل في ذهنك شيء تخفيه دوني ..؟

فأجابه "بوارو" في براءة الأطفال :

– أنا أخفي عنك شيئا ..؟ يا لها من فكرة ..!

وإذ فرغوا من العشاء قال "بوارو" للسكرتير:

– هل باب مقصورتك موصد بالمزلاج يا ميجور "كايتون" ..؟ أعني الباب الذي يفضي إلى الممشى .

فأجابه :

– نعم .. أنا بنفسي أوصدته ووضعت المزلاج .

– هل أنت متأكد ..؟

– بالتأكيد .. ومع ذلك سأرى بنفسي .

فبادره "بوارو" :

– لا تزعج نفسك ... سأفحص الباب بنفسي .

ودلف مسرعا إلى المقصورة الصغيرة من الباب الفاصل بينها وبين المقصورة الكبيرة ، ثم رجع بعد لحظات قائلا :

– صدقت .. كان الباب موصدا فعلا بالمزلاج .

ثم أغلق الباب الفاصل بين المقصورتين ، واتخذ مقعده في الركن الأيمن من المقصورة .

ومرت الساعات متتابعة والقطار يشق طريقه .

وكان "بوارو" يتطلع إلى ساعته أحيانا ، ثم يستسلم إلى النعاس من جديد . وفي إحدى المرات نهض فجأة ففتح الباب الفاصل وتطلع إلى المقصورة الملحقة، ثم ارتد إلى مقعده وهو يهز رأسه في استغراب .

وهمس "كايتون" متسائلا :

– ما الأمر ..؟ أتراك تتوقع وقوع حادث ما ..؟

فأجاب "بوارو" معترفا :

– إن أعصابي مضطربة قليلا ... وأقل صوت يفزعني .

وأطبق "كايتون" عينيه ، محاولا أن ينام .

وللمرة العاشرة تطلع "بوارو" إلى ساعته ، ثم لمس كتف المليونير ، فاستفاق هذا من نعاسه وقال :

– ماذا جرى ..؟

– بعد خمس دقائق سيصل بنا القطار إلى "ليون" .

فهتف "فان ألدن" :

– يا إلهي .. إذن ففي مثل هذه الساعة قتلت ابنتي الحبيبة "روث" .

وأخذ يحملق إلى جدار المقصورة وقد شحب لونه وأخيرا توقف القطار في "ليون" .

واطل "فان ألدن" من النافذة برهة ، ثم استدار إلى "بوارو" قائلا :

– إذا لم يكن "ديريك كيترغ" هو القاتل طبقا لنظريتك الجديدة ، فلا بد أن يكون القاتل قد غادر القطار هنا .. في هذه المحطة ..

وأثار دهشة "فان ألدن" أن رأى "بوارو" يهز رأسه نفيا وهو يقول :

– كلا .. لم يغادر القطار أي رجل .. ولكنني أعتقد أن امرأة هي التي غادرته .

وشهق "كايتون" دهشة . واستطرد "بوارو" :

– نعم امرأة .. لقد قررت الآنسة "جراي" أنها رأت شابا يرتدي معطفا وقبعة ذات حافة ينزل من القطار ليتمشى على الرصيف . وأعتقد أن هذا الشاب ما هو إلا امرأة متنكرة .

– ولكن من تكون هذه المرأة ..؟

– إن اسمها ، أعني الاسم الذي كانت تعرف به منذ سنوات ، هو "كيتي كيد" ، ولكنك أنت يا سيد "فان ألدن" تعرفها باسم "آدي ميسون" .

وهب "كايتون" واقفا وهو يتساءل في حدة :

– ماذا تقول ..؟

وانتفض "بوارو" واقفا بدوره وتناول شيئا من جيبه وهو يقول :

– اسمح لي أن أقدم لك سيجارة .. من علبتك الشخصية .. كان إهمالا منك ألا تفطن إلى سقوط العلبة الجلدية من جيبك .

وحملق "كايتون" إلى "بوارو" مذهولا ، ثم حاول أن يتحرك فلوح "بوارو" في وجهه بإصبعه منذرا :

– لا تحاول أن تتحرك .. إن باب مقصورتك مفتوح . وأنا الذي أزحت مزلاجه عندما غادرنا "باريس" ، ورجال الشرطة يحاصرون المقصورة الآن ومسدساتهم مشهرة في أيديهم .. إنك تعلم أن شرطة "باريس" تتمنى منذ زمن طويل أن تعتقلك يا ميجور "كايتون" أو بعبارة أخرى يا سيدي "المركيز" .

- 35 -

في جناح خاص في مطعم "نجرسكو" كان "فان ألدن" و "هيركيول بوارو" يتناولان طعام الغداء . وأنشأ "بوارو" يتحدث قائلا :

– كانت النقطة الأولى التي أثارت اهتمامي هي الوجه المشوه للضحية ، فهل القتيلة حقا السيدة "كيترغ" أم امرأة أخرى ..؟ ولكن شهادة الآنسة "جراي" في هذا الشأن كانت حاسمة لا يرقى إليها الشك ، فلم يعد يخامرني شك في أن القتيلة هي "روث كيترغ" .

وسأله "فان ألدن" :

– ومتى بدأت تشك في الوصيفة ..؟

وأجاب "بوارو" :

– كانت علبة السجائر الجلدية التي عثرنا عليها في مقصورة الضحية هي أول شيء أثار شكوكي في الوصيفة .. كان محفورا على العلبة حرف "ك" ، وهو الحرف الأول من اسم السيد "كيترغ" ، وقررت الوصيفة في شهادتها أن هذه العلبة كانت هدية من السيدة "كيترغ" إلى زوجها . كان الأمر في رأيي مستبعدا منطقيا، إذ كيف تهدي زوجها علبة السجائر والعلاقة بينهما منفصمة ولا يتقابلان إلا صدفة ، ولهذا بدأت أرتاب في كل ما تدلي به الوصيفة "آدي ميسون" من أقوال . وثمة شيء آخر . هو أنها لم تمض في خدمة سيدتها إلا شهرين اثنين ، فهل تكون هي القاتلة ..؟ واستبعدت هذا الاحتمال لأن الوصيفة غادرت القطار في "باريس" ، ولأن السيدة "كيترغ" شوهدت على قيد الحياة بعد ذلك .

واستطرد "بوارو" :

– إن من صفات الشرطي القدير أن يرتاب في كل كلمة يسمعها . لذلك سألت نفسي : "هل حقيقة غادرت "آدي ميسون" القطار في "باريس" ..؟" وكان الرد

على هذا السؤال مرضيا ، فلدينا أولا شهادة سكرتيرك الميجور "كايتون" الذي قرر أنه رأى الوصيفة في "باريس" . ولدينا ثانيا أقوال القتيلة نفسها إذ ذكرت لملاحظ القطار أنها أمرت وصيفتها بمغادرة القطار في "باريس" .. وعلى الرغم من ذلك بدأت تنمو في رأسي فكرة جديدة عجيبة .

لقد شهد الميجور "كايتون" أنه قابل الوصيفة في "باريس" .. ولكنني لاحظت أن "كايتون" التحق بخدمتك منذ شهرين أيضا ، فهل جاء الأمر مصادفة ، أم أنهما شريكان ؟

والأمر الثاني هو أن حرف "الكاف" المحفور على علبة السجائر هو الحرف الأول من اسم سكرتيرك "كايتون" ، فهل تكون علبة السجائر علبته هو لا علبة السيد "كيترنغ" ، كما قررت الوصيفة في شهادتها ، وهي شهادة مشكوك فيها لأنه ليس من المعقول أن تقدم زوجة هدية إلى زوج انقضت العلاقات بينهما .

وثمة ملحوظة أخرى .. عندما عرضت العلبة على الوصيفة "آدي ميسون" لم يغب عنها أنها تخص شريكها "كايتون" ولكن حرف "الكاف" المشترك بين الاسمين أنقذها فأسرعت تقول إنها تخص السيد "كيترنغ" . وكان هذا هو المخرج الوحيد أمامها ، وإن كان الاتفاق بينها وبين شريكها أن يكون الكونت "دي لاروش" هو كبش الفداء . وأن تلصق التهمة به .

ولعلك تذكر يا سيد "فان ألدن" أنني أشرت في حديثي مع الوصيفة قبل انصرافها أن من المحتمل أن يكون الرجل الذي رأته هي وسيدتها في القطار لم يكن الكونت "دي لاروش" وإنما كان السيد "كيترنغ" زوج "روث" وبعد فترة جاءت إليك الوصيفة تؤكد أنها أصبحت على يقين من أن الرجل الذي رأته هو السيد "كيترنغ" . فلماذا غيرت الوصيفة رأيها ..؟ التعليل الوحيد هو أنها تداولت الأمر مع شريكها ، فأمرها بأن تغير شهادتها . وهذا الشريك لا بد أن يكون سكرتيرك "كايتون" الذي ارتبت فيه من قبل .

وثمة شيء آخر دعم شكوكي .. لقد ذكر "كايتون" في حديث عابر جرى بيننا أنه حدثت سرقة لجواهر نادرة في بيت في "يوركشاير" كان يعمل فيه سكرتيرا . فقلت في نفسي : لعل الأمر كان مجرد مصادفة ، ولكن ربما كان أيضا حلقة جديدة في سلسلة شبهاتي فيه .

وتساءل "فان ألدن" :

– ولكن من الرجل الذي كان في القطار في "باريس" . ؟ أهو "ديريك كيترنغ" أم الكونت "دي لاروش" ..؟

– لا هذا ولا ذاك .. من الذي شهد بأن في القطار رجلا دهشت السيدة "كيترنغ" لرؤيته ؟ الوصيفة "آدي ميسون" وحدها هي التي قررت ذلك ، وقد أخذنا بكلمتها على الفور لاعتقادنا بأنه لا صلة لها بالجريمة استنادا إلى ما قرره سكرتيرك "كايتون" من أنها غادرت القطار في "باريس" ، وأنه التقى بها هناك في الفندق .

واستطرد "بوارو" :

– لقد قرر ملاحظ القطار أن السيدة "كيترنغ" أخبرته أنها أنزلت وصيفتها في محطة "باريس" ولكن الواقع أنها لم تخبره بشيء من هذا لأنها كانت ميتة .

– إذن فقد كذب ملاحظ القطار في شهادته .

– كلا .. كلا لقد شهد بما اعتقد أنه الحقيقة ... لقد ماتت "روث كيترنغ" قبل أن يصل القطار إلى محطة "ليون" . وكانت "آدي ميسون" هي التي تقمصت شخصيتها إذ ارتدت ملابس سيدتها والمعطف الفراء وكانت هي أيضا التي أخبرت ملاحظ القطار – وذلك باعتبارها السيدة "كيترنغ" – أنها أنزلت وصيفتها في "باريس" .

فهتف "فان ألدن" :

– هذا مستحيل ..!

- إن لـــ "آدي ميسون" قوام ابنتك ، فإذا ما ارتدت معطفها الفراء ، ولبست قبعتها القرمزية اللون وأرختها على جبينها ، فمن هذا الذي يستطيع أن يفرق بينهما . ؟

ولهذا انخدع ملاحظ القطار بسهولة ، خصوصا وأنه لم يرها إلا مرة واحدة عندما أرشدها إلى مقصورتها .

ولا تنس أن "آدي ميسون" كانت ممثلة معروفة باسم "كيتي كيد" ، اشتهرت بتقليد الشخصيات البارزة ، فلن يصعب عليها أن تقلد صوت ابنتك ، بيد أن المخاطرة كانت كامنة في أنه عندما يرى ملاحظ القطار الجثة سيشهد بأن التي تحدثت إليه لم تكن هي القتيلة . وكان هذا هو السبب في تشويه وجه السيدة "كيترغ" بعد خنقها حتى لا تنكشف الخدعة .

فتساءل "فان ألدن" في حدة وحيرة :

- ولكن من الذي قتل "روث" ..؟ ومتى قتلت ..؟

- إنك أوفدت سكرتيرك "كايتون" إلى "باريس" في ذلك اليوم في مهمة ما فاستطاع أن يستقل القطار الأزرق . وقد أدهش السيدة "كيترغ" أن رأته يدخل مقصورتها . ولكنها لم تشك في أمره . ولعله استرعى بصرها إلى شيء خارج نافذة القطار فلما التفتت لف الحبل حول عنقها وخنقها ، ثم بادر هو وشريكته "آدي ميسون" إلى العمل .. جردا ضحيتهما من ثيابها الخارجية ، ولفا الجثة في السجادة ووضعاها في المقصورة الخارجية الإضافية وسط الحقائب . ثم تسلل "كايتون" من القطار ومعه علبة الجواهر .

واستطرد "بوارو" :

- وفي محطة "ليون" نزلت "آدي ميسون" إلى الرصيف وابتاعت سلة طعام العشاء . ثم عادت إلى القطار فارتدت ثياب سيدتها ، وعندما دخل عليها الملاحظ لينسق الفراش حسبها السيدة "كيترغ" . وذكرت له عندئذ أنها انزلت وصيفتها

في محطة "باريس" .

ووقفت تطل من نافذة القطار ، مولية ظهرها ناحية الممشى ، وهو ما شهدت به الآنسة "جراي" إذ كانت بين من اجتازوا الممشى في تلك اللحظة .

وتابع "بوارو" الحديث بقوله :

- وقبل الوصول إلى "ليون" أرقدت الوصيفة جثة سيدتها في الفراش ، وارتدت ملابس رجل ، واختبأت في المقصورة الصغيرة الإضافية . وعندما دخل "ديريك كيترغ" مقصورة زوجته حسبها نائمة ، فغادر المقصورة دون أن يوقظها .

بمجرد وقوف القطار في المحطة بادرت "آدي ميسون" بمغادرة القطار وهي في ثياب رجل ، متظاهرة بأنها تبغي أن تتمشى على الرصيف ، ثم بادرت تستقل القطار المتجه إلى "باريس" ومضت من فورها إلى فندق "ريتز" ، إلى الغرفة التي حجزتها باسمها من قبل شريكة أخرى لسكرتيرك "كايتون" . وكان "كايتون" قد اتفق مع السيد "بابولوس" على أن يبيعه قلادة اليواقيت ، وفيما بعد بعث إليه بـ "آدي ميسون" لتسلمه الجواهر . والآن هل رأيت مدى دهاء "المركيز" وبراعته في تدبير خطته ..؟

فغمغم المليونير الأمريكي :

- الحق أنه داهية لا يشق له غبار ، ولكنني اطلعت على شهادات خدمته السابقة قبل أن ألحقه بخدمتي فألفيتها جميعا سليمة لا مطعن عليها .

- إنك لعلى حق في هذا ، فالمركيز ، أعني "كايتون" ، ينحدر من أسرة كريمة، وتلقى تعليما عاليا ، وسجله في أثناء الحرب يدل على شجاعة أهلته للحصول على بضعة أوسمة ، ولكنه في الخفاء كان لصا للجواهر النادرة ، فما إن يلتحق ببيت أحد الأثرياء حتى تقع السرقة . وقد يقال إن الأمر كان مجرد صدفة ، ولكن اقتران وجوده بالسرقات كان إحدى القرائن التي دعمت شكوكي فيه . وقد ترددت في سوق الجواهر منذ أشهر إشاعة أنك تنوي أن تشتري قلادة "جذوة النار" فوضع

"**كايتون** " نفسه في طريقك وأنت في سويسرا وخلب لبك بدمائته وطلاوة حديثه فاتخذته سكرتيرا لك ودس شريكته "**آدي ميسون**" على ابنتك فاتخذتها وصيفة لها .

واستطرد "**بوارو**" :

- وكان "**كايتون**" ،أي "**المركيز**" الذي أطلق عليك اثنين من "**أوباش باريس**" ، فهاجماك عقب خروجك من البيت بعد شرائك القلادة ليسرقاها منك ، وفشلت هذه الخطة .

وتساءل "**فان ألدن**" :

- وما مصير "**ديريك كيترغ**" الآن ..؟

- سيفرج عنه طبعا مبرءا من كل ما يشين ، وعندئذ سوف يتزوج "**كاترين جراي**" .

فهتف الأمريكي :

- ماذا تقول ..؟

- أقول إن "**ديريك**" مدله بحب "**كاترين**" ، و إنها أيضا مولعة به ، وإن كانت متزنة تعرف كيف تكتم عواطفها ، ولكن "**بوارو**" يعرف كيف ينفذ إلى خفايا النفوس

فقال "**فان ألدن**" :

- الحق أنك عبقري ، ولا يملك أحد أن ينكر أنك أعظم شرطي سري في العالم .

فقال "**بوارو**" في اعتداد وهو ينفخ صدره :

- إنني لكذلك حقا ..!

تمت بعون الله